الفهرس

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٤ مايو ٢٠١١	٢
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١١ مايو ٢٠١١	٥
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٨ مايو ٢٠١١	٨
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٢٥ مايو ٢٠١١	١١
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١ يونيو ٢٠١١	١٤
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٥ يونيو ٢٠١١	١٧
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٢٢ يونيو ٢٠١١	٢٠
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٣ أغسطس ٢٠١١	٢٣
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٠ أغسطس ٢٠١١	٢٥
المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٧ أغسطس ٢٠١١	٢٧

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٤ مايو ٢٠١١

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

أود اليوم أن أبدأ سلسلة جديدة من التعاليم. بعد التعليم حول شخصيات الآباء، ولاهوتيي العصر الوسيط، والنساء القديسات، يسرني أن أختار موضوعًا عزيزًا على قلبنا جميعًا: موضوع الصلاة، وبشكل خاص الصلاة المسيحية، أي الصلاة التي علمنا إياها يسوع، والتي تستمر الكنيسة في تعليمنا. بالواقع، في يسوع يضحي الإنسان قادرًا أن يتقرب من الله بعمق وحميمية الأبوة والبنوة. مع الرسل الأولين بتواضع وثقة نتوجه إلى المعلم ونطلب إليه: "يا رب، علمنا أن نصلي" (لو ١١، ١).

في التعاليم المقبلة، سنتقرب من الكتاب المقدس، من تقليد آباء الكنيسة، من معلمي الحياة الروحية، من الليتورجية، وسنتعلم أن نعيش بعمق أكبر علاقتنا مع الرب، كما ولو كنا في "مدرسة صلاة."

نعرف جيدًا، بالواقع، أن الصلاة ليست أمرًا بديهيًا: يجب أن نتعلم أن نصلي، كما ولو أننا نتعلم فنًا جديدًا؛ فحتى المتقدمين جدًا في الحياة الروحية يشعرون دومًا بالحاجة لكي يذهبوا إلى مدرسة يسوع ليتعلموا أن يصلوا بأصالة. فلنتلقَ الدرس الأول من الرب من خلال مثاله. فالأناجيل تقدم لنا يسوع في حوار حميمي وثابت مع الآب: إنها شركة عميقة يعيشها ذاك الذي جاء إلى العالم لا لكي يفعل إرادته، بل إرادة الآب الذي أرسله لخلاص الإنسان.

في هذا التعليم الأول، وكمقدمة، أود أن أقدم بعض أمثلة الصلاة الواردة في التقاليد القديمة، لكي نبين كيف أنه في كل زمان وكل مكان الإنسان يتوق إلى الله.

أبدأ بمصر القديمة كمثال. فنجد رجلاً أعمى يطلب إلى الآلهة أن تعيد له النظر، ويشهد لواقعًا بشريًا شاملاً، واقع من يرفع في ألمه صلاة طلب نقية وبسيطة، فهذا الرجل يصلي: "قلبي يتوق لأن يراك... أنت الذي أريتني الظلمة، اخلق النور لي. اسمح لي أن أراك! أمل إلي وجهك الحبيب". 'أن أرى وجهك' هو نواة الصلاة!

في أديان بلاد ما بين النهرين كان هناك حس كبير بالخطيئة وكان يولد حسًا يشل الإنسان، ولكنه لم يكن يخل من رجاء الفداء والتحرير من قِبل الله. يمكننا بهذا الشكل أن نقيّم هذا الدعاء من قِبل مؤمن من تلك العبادات، حيث يقول: "يا الله، أنت رحوم حتى في الخطايا الكبيرة، وأنت تغفر خطيئتي... انظر يا رب، إلى عبدك المكتئب، وانفخ نسيمك العذب عليه: لا تتلكأ عن الغفران له. خفف من قصاصك القاسي. وإذ تعتقه من قيوده، اسمح له أن يتنفس من جديد؛ اقطع قيودي، حلّني من رُبطي" (M.-J. Seux, Hymnes et prières aux Dieux de Babylone et d'Assyrie, Paris 1976, trad. it. in Preghiere dell'umanità, op. cit., p. 37).

إنها لتعابير تبين كيف أن الإنسان، في بحثه عن الله، قد أدرك، ولو بشكل غير واضح بالكلية، أن هناك من ناحية خطيئته، ومن الناحية الأخرى الرحمة والصلاح الإلهيين.

في قلب الأديان الوثنية في اليونان القديم، نرى تطورًا كبيرًا: الصلوات، التي كانت تستمر في طلب الرضا الإلهي في كل أوضاع الحياة اليومية، وللحصول على المعونات المادية، تحولت تدريجيًا نحو طلبات أكثر تجردًا، فسمحت للإنسان أن يعمق علاقته بالله وأن يضحي أفضل. على سبيل المثال، ينقل أفلاطون الفيلسوف

الكبير صلاة لمعلمه سقراط: "اجعلوني جميلاً في الداخل. وأن أعتبر غنيًا من هو حكيم، ومن يملك من المال فقط ما يستطيع أن يملك ويحمل الحكيم. لا أطلب أكثر من ذلك (Opere I. Fedro279c, trad. it. P. Pucci, Bari 1966). يريد أن يكون جميلاً في الداخل وحكيمًا، ولا غنيًا بالمال.

في المآسي اليونانية التي هي من روائع الأدب العالمي في كل العصور، نرى صلوات تعبر عن التوق للتعرف على الله وعبادة سموه. إحدى هذه الصلوات تقول: "أنت ركيزة الأرض، أنت القائم على الأرض، لكمّ يصعب فهم هويتك، يا زوس، كل أنت شرع الطبيعة أو فكر المائتين، أنا أتوجه إليك: لأنك في سيرك على دروب صامتة، تقود أمور البشر بالعدل (Euripide, Troiane, 884-886, trad. it. G. Mancini, in Preghiere dell'umanità, op. cit., p. 54). يبقى الله غامضًا بعض الشيء، ولكن الإنسان يعرف الله ويصلي إليه هو الذي يقود دروب الأرض.

حتى عند الرومان، الذين أقاموا امبراطورية كبيرة نشأ وانتشر فيها القسم الأكبر من المسيحية القديمة، كانت الصلاة – ولو مرتبطة بمفهوم استهلاكي يرتبط جوهريًا بطلب الحماية الإلهية في حياة الجماعة المدنية – كانت تنفتح أحيانًا على طلبات رائعة للتقوى الشخصية، وكانت تضحي تسبيحًا وشكرًا. يشهد على ذلك كاتب من إفريقيا الرومانية من القرن الثاني بعد المسيح، أبوليوس. يبيّن في كتاباته عن عدم رضى معاصريه عن الدين التقليدي وعن رغبتهم في علاقة أكثر أصالة بالله. في أفضل أعماله الذي عنوانه "الانمساخ"، يوجه مؤمن صلاة إلى إلهة أنثى يقول فيها: "أنت قديسة، أنت في كل زمان خلاص للجنس البشري، أنت بسخائك تقدمين العون دومًا للمائتين، وتقدمين للبؤساء العطف اللذيذ الذي تقدمه الأم. فلا الليل ولا النهار ولا أي وقت، مهما قصر، يمضي دون أن تملئيه بعطاياكِ (Apuleio di Madaura, Metamorfosi IX, 25, trad. it. C. Annaratone, in Preghiere dell'umanità, op. cit., p. 79).

في الزمن عينه، تحدث الإمبراطور ماركوس آوريليوس، الذي كان أيضًا فيلسوفًا يفكر بالوضع البشري، تحدث عن ضرورة الصلاة لقيام تعاون مثمر بين العمل الإلهي والعمل البشري. يكتب في ذكرياته قائلاً: "من قال لك أن الآلهة لا تساعدنا في ما يتعلق بنا؟ ابدأ إذا بالصلاة، وسترى (Dictionnaire de Spiritualitè XII/2, col. 2213).

نصيحة الإمبراطور الفيلسوف هذه قد تم تطبيقها من قبل أجيال عديدة من الأشخاص قبل المسيح، وهذا ما يبين أن الحياة البشرية دون الصلاة، التي تفتح وجودنا على سر الله، تضحي من دون معنى ومن دون مرجع. في كل صلاة، بالواقع، يتم التعبير عن حقيقة الخليقة البشرية، التي تختبر من ناحية الضعف والفقر، ولذلك تطلب عون السماء، ومن ناحية أخرى، هي تتمتع بكرامة سامية، لأنها باستعدادها لقبول الوحي الإلهي، تكتشف أنها قادرة أن تدخل في شركة مع الله.

أيها الأصدقاء الاعزاء، في أمثلة الصلاة هذه التي نستمدها من حقبات وحضارات مختلفة يظهر الوعي بأن الكائن البشري يعيش في وجوده كخليقة الاتكال والاعتماد على آخر أسمى منه هو منبع كل خير. إن إنسان الأزمنة المختلفة يصلي لأنه لا يستطيع إلا أن يتساءل عن معنى وجوده، الذي يبقى خفيًا ومقلقًا، ما لم يتم وضعه في اتصال مباشر مع سر الله ومع مشروعه بشأن العالم. الحياة البشرية هي مزيج من الخير والشر، من الألم غير المَستحق ومن الفرح والجمال، وكل هذه الأمور تدفعنا لكي نطلب إلى الله ذلك النور وتلك القوة اللذين يسعفاننا على الأرض ويفتحان لنا رجاء يذهب أبعد من حدود الموت. الأديان الوثنية تبقى دعاءً من الأرض

ينتظر جواب السماء. أحد آخر الفلاسفة الوثنيين الكبار، الذي عاش في العصر المسيحي، بروكلو من القسطنطينية، يعطي صوته ليقول هذا الانتظار: "أيها اللامعروف، ما من شيء يحويك. وكل ما نفكر به هو خاصتك. شرورنا وخيراتنا هي منك، وعليك يعتمد كل توقنا، أيها اللامدرك، الذي تشعر به نفوسنا، وترفع إليك نشيد الصمت" (Hymni, ed. E. Vogt, Wiesbaden 1957, in Preghiere dell'umanità, op. cit., p. 61).

في أمثلة الصلاة التي تقدمها الثقافات المختلفة، والتي قمنا باعتبارها، يمكننا أن نرى شهادة للبعد الديني وللتوق إلى الله المكتوب في قلب كل إنسان، والذي ينال اكتماله وملئه في العهد القديم وفي العهد الجديد. الوحي، بالواقع، يطهّر ويكمّل التوق الأصلي الذي يعيشه الإنسان نحو الله، ويقدم له، في الصلاة، إمكانية أن يعيش علاقة حميمية مع الآب السماوي.

في مطلع مسيرة "مدرسة الصلاة" نريد إذًا أن نطلب إلى الرب أن ينير عقلنا وقلبنا لكيما تكون العلاقة معه في الصلاة أعمق، وأكثر حنيّة وثباتًا. فلنقل له مرة أخرى: "يا رب، علمنا أن نصلي" (لو ١١، ١).

* * *

نقله من الإيطالية إلى العربية روبير شعيب – وكالة زينيت العالمية

حقوق النشر محفوظة لدار النشر الفاتيكانية

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١١ مايو ٢٠١١

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

أود اليوم متابعة تأملنا في كيف أن الصلاة والحس الديني قد رافقا الإنسان على مدى التاريخ.

نعيش في عصر تظهر فيه بوضوح علامات العلمنة. يبدو أن الله قد زال من أفق الكثير من الأشخاص أو قد أضحى واقعًا لا يولد إلا اللامبالاة. ولكننا نرى في الوقت عينه علامات كثيرة تبين لنا عن يقظة في الحس الديني، وإعادة اكتشاف لأهمية الله في حياة الإنسان، وحاجة إلى الحياة الروحية، وتجاوزًا لنظرة أفقية أو مادية بحت للحياة البشرية. وإذ ننظر إلى التاريخ القريب، نرى فشل نظرة من أعلن في عصر التنوير أن الأديان ستزول، ومن بجّل العقل المطلق، المنفصل عن الإيمان، عقلاً سيسحق ظلمات العقائد الدينية وسيذوّب "عالم القدسيات"، واهبًا للإنسان حريته، كرامته واستقلاليته من الله. خبرة القرن الماضي، بما في ذلك الحربين العالميتين، دمرت وهم التطور، والعقل المستقل الذي ظن الإنسان أن يستطيع أن يضمنه بمعزل عن الله.

يقول تعليم الكنيسة الكاثوليكية: "من خلال الخليقة يدعو الله كل كائن من العدم إلى الوجود... وحتى بعد أن فقط الشبه بالله بسبب الخطيئة، يبقى الإنسان مع ذلك على صورة الله خالقه. يحفظ في ذاته التوق إلى ذاك الذي دعاه إلى الوجود. وجميع الأديان تشهد لهذا البحث من قبل الإنسان" (عدد ٢٥٦٦). يمكننا أن نقول – كما بينت في التعليم الماضي – أنه ليس هناك ثقافة كبيرة، منذ الزمن الغابر وحتى اليوم، دون أن يكون فيها بعد ديني.

الإنسان بطبيعته ديني، إنه "الإنسان الديني، تمامًا كما هو "الإنسان العاقل"، و"الإنسان الفاعل": يصرح تعليم الكنيسة الكاثوليكية: "إن التوق إلى الله لهو مكتوب في قلب الإنسان، لأن الإنسان خلق على صورة الله ولأجل الله" (عدد ٢٧). صورة الخالق هي مطبوعة في كيانه وهو يشعر بضرورة إيجاد النور لكي يقدم جوابًا على السؤال حول معنى الوجود العميق؛ جوابًا لا يستطيع إيجاده في ذاته، في التقدم، في العلوم المخبرية. الإنسان الديني (L'homo religiosus) لا يظهر فقط في العالم القديم، بل هو حاضر في كل تاريخ البشرية. في هذا الصدد، شهدت أرضية الخبرة البشرية ظهور أشكال عديدة من التدين، في سعي للإجابة عن التوق إلى الملء والسعادة، والحاجة إلى الخلاص، والبحث عن المعنى. الإنسان "الرقمي-التكنولوجي" تمامًا كإنسان الكهوف، يبحث في الخبرة الدينية عن سبل لتجاوز محدوديته ولكي يقدم الضمانة لمغامرته الأرضية الهشة.

الحياة لا معنى كامل لها من دون أفق التسامي، والسعادة، التي نتوق إليها جميعًا، تنعكس بشكل طبيعي في أفق المستقبل، في غد يجب أن يأتي. المجمع الفاتيكاني الثاني، في وثيقة " Nostra aetate " يقول بإيجاز: "ينتظر الناس من مختلف الأديان الجواب على مسائل الوجود البشري الغامضة، والتي تقلق قلب الإنسان أمس كما اليوم: طبيعة الإنسان [من أنا؟]. معنى وغاية حياتنا البشرية، الخير والخطيئة، أصل وغاية الألم، الطريق للوصول إلى السعادة الحقة، الموت، الدينونة وماذا بعد الموت، وأخيرًا السر النهائي والكبير الذي يغمر وجودنا، والذي نأخذ منه وجودنا ونتوق إليه" (عدد ١). يعرف الإنسان أنه لا يستطيع أن يجيب بمفرده على حاجته الجوهرية للفهم. ومهما حاول أن يخدع نفسه وأن يقنع نفسه بأنه يستطيع أن يكتفي بذاته، فهو يقوم بخبرة أنه لا يكفي لذاته. فهو بحاجة إلى أن ينفتح على آخر، على شيء أو على شخص، يستطيع أن يعطيه ما هو بحاجة إليه، يتوجب عليه أن يخرج من ذاته نحو ذاك الذي يملأ سعة وعمق توقه.

يحمل الإنسان في ذاته عطشًا للمطلق، توقًا إلى الأبدية، بحثًا عن الجمال، حاجة للحب، حاجة للنور والحقيقة، وهذه تدفعه نحو المطلق؛ يحمل الإنسان في ذاته التوق إلى الله. ويعرف الإنسان، بشكل أو بآخر، أنه يستطيع أن يتوجه إلى الله، يعرف أنه يستطيع أن يصلي. يصف القديس توما الأكويني، أحد أكبر لاهوتيي التاريخ الصلاة بأنه "تعبير عن التوق الذي يعيشه الإنسان نحو الله". هذه الجاذبية نحو الله، التي وضعها الله بالذات في الإنسان، هي نفس الصلاة، التي تتزين بأشكال مختلفة تبعًا للتاريخ، للزمان، للحظة، للنعمة وحتى لخطيئة كل مصلي. لقد عرف تاريخ البشرية أشكالاً مختلفة من الصلاة، لأنه أقام أشكالاً مختلفة من الانفتاح نحو الآخر ونحو ما يتجاوزه، ولذا نستطيع أن نرى الصلاة كخبرة حاضرة في كل دين وثقافة.

بالواقع، أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، كما رأينا نهار الأربعاء الماضي، الصلاة لا ترتبط بإطار محدد، بل هي مكتوبة في قلب كل إنسان وكل حضارة. طبعًا، عندما نتحدث عن الصلاة كخبرة يقوم بها الإنسان بحد ذاته، خبرة "الإنسان المصلي"، من الضروري أن نعي أنها موقف داخلي، قبل أن تكون ممارسات وصيغ، هي أسلوب للقيام في حضرة الله وذلك قبل القيام بأفعال العبادة والتلفظ بالكلمات. يمد محور الصلاة جذوره في عمق الشخص البشري؛ ولذلك لا يمكن حل سرها ببساطة، وللسبب عينه، تتعرض الصلاة للتحريف والتخريف. بهذا المعنى يمكننا أن نفهم هذا التعبير: الصلاة أمر صعب. بالواقع الصلاة هي موضع المجانية بامتياز، هي موضع التوق إلى المطلق، ما لا يمكن توقعه، وما لا يمكن وصفه أو إدراكه. ولذلك خبرة الصلاة هي تحدٍ كبير، هي "نعمة" يجب طلبها كهبة من ذاك الذي نتوجه إليه.

في الصلاة، في كل حقبة من التاريخ، يعتبر الإنسان ذاته وحالته أمام الله، انطلاقًا من الله، وتبعًا لله، ويختبر أنه كائن يحتاج للمعونة، غير قادر أن ينال من تلقاء ذاته الاكتمال لوجوده ولرجائه. يذكّر الفيلسوف لودفيك فيتغينشتاين أن "الصلاة تعني أن نشعر بأن معنى العالم يقوم خارج العالم". في دينامية هذه العلاقة مع ذاك الذي يهب معنى للوجود، مع الله، تملك الصلاة تعابير خاصة تتمثل في الركوع. تحمل هذه الحركة في ذاتها معانٍ مختلفة: فمن ناحية يمكن أن أُرغم على السجود – وهذه حالة عبودية وبؤس – ولكن يمكنني أن أسجد بحريتي، معترفًا بمحدوديتي وبحاجتي للآخر. أعلن له عن ضعفي، حاجتي، وعن أني خاطئ. يعبّر الكائن البشري في خبرة الصلاة عن وعيه لذاته، عن كل ما يستطيع إدراكه عن وجوده، وفي الوقت عينه، يوجه كل وجوده نحو ذاك الكائن الذي يقوم أمامه، ويوجه نفسه نحو ذلك السر الذي ينتظر منه اكتمال رغباته العميقة والعون لتجاوز فقر حياته. في هذا النظر إلى آخر، في هذا التوجه إلى ما هو "ما وراء الواقع الحالي" يمكن جوهر الصلاة، كخبرة واقع يتجاوز الملموس والعابر.

فقط في الله الذي يكشف عن ذاته يجد بحث الإنسان ملئه. الصلاة هي انفتاح ورفع للقلب نحو الله، وتضحي بهذا الشكل علاقة شخصية معه. وحتى لو نسي الإنسان خالقه، الله الحي والحقيقي لا يتوقف عن دعوة الإنسان للقاء السري في الصلاة. وكما يصرح تعليم الكنيسة الكاثوليكية: "خطوة الحب الأولى تأتي دومًا من الله الأمين في خبرة الصلاة؛ خطوة الإنسان هي دومًا خطوة جواب. وإذ يكشف الله ذاته في الصلاة يكشف الإنسان لذاته، وتظهر الصلاة هكذا كنداء متبادل، كحدث عهد. من خلال الكلمات والأفعال، يشغل هذا الحدث القلب. ويتبين على مدى تاريخ العهد والخلاص" (عدد ٢٥٦٧).

أيها الإخوة والأخوات فلنتعلم أن نتوق أكثر في حضرة الله، الله الذي كشف عن ذاته في يسوع المسيح، ولنتعلم أن نتعرف بصمت، في حميمية ذواتنا، على صوته الذي يدعونا ويقودنا إلى أعماق كياننا، إلى نبع الحياة، إلى

نبع الخلاص، لكي يجعلنا نمضي أبعد من محدودية حياتنا، لكي ننفتح على ملء الله، على العلاقة معه، على حبه اللامتناهي. شكرًا.

* * *

نقله من الإيطالية إلى العربية روبير شعيب – وكالة زينيت العالمية

حقوق النشر محفوظة لدار النشر الفاتيكانية

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٨ مايو ٢٠١١

ترجمة المكتب الإعلامي الكاثوليكي بمصر من موقع vatican.va

شفاعة إبراهيم من أجل سدوم (تك ١٨: ١٦ – ٣٣)

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

تأملنا خلال المقابلتين السابقتين في الصلاة كظاهرة عالمية، تظهر – على الرغم من اختلاف أشكالها – في ثقافات العصور كلها. اليوم، أود أن أبدأ مسار إنجيلي حول هذا الموضوع الذي سيوجهنا بعمق نحو حوار العهد بين الله والإنسان الذي يحيي تاريخ الخلاص، إلى ذروته، إلى الكلمة النهائية التي هي يسوع المسيح. سيقودنا هذا المسار إلى التأمل في بعض النصوص والشخصيات البارزة في العهد القديم والعهد الجديد. أبونا إبراهيم، أبو كل المؤمنين (را. روم ٤ :١١-١٢؛ ١٦-١٧)، هو أول مثال لنا في الصلاة، في حدث الشفاعة من أجل مدن سدوم وعمورة. أود أيضًا أن أدعوكم للاستفادة من هذا المسار في الدروس القادمة لتصبحوا أكثر تعايشًا مع الكتاب المقدس، الذي آمل أن يكون لديكم في منازلكم. وخلال الأسبوع، أدعوكم إلى قراءته وتأمل فيه في جو من الصلاة، لنعرف القصة الرائعة للعلاقة بين الله والإنسان، بين الله الذي يتواصل معنا والإنسان المُستجِيب، المُصلي.

النص الأول الذي نريد التأمل فيه نجده في الاصحاح الثامن عشر في سفر التكوين، يروي أن شرور سكان سدوم وعمورة قد وصلت إلى أقصى درجة، وأصبح من الضروري أن يتدخل الله لتنفيذ فعل عادل ووقف الشر بتدمير تلك المدن. هنا يأتي دور إبراهيم بصلاة الشفاعة. ويقرر الله أن يكشف له ما سيحدث ويجعله على دراية بخطورة الشر وعواقبه المروعة، لأن إبراهيم هو المختار، أُختير ليصبح شعبًا عظيمًا وليجلب نعمة الله إلى العالم بأكمله. رسالته هي رسالة خلاص يجب أن تقاوم الخطيئة التي اجتاحت واقع الإنسان؛ الرب يرغب في إعادة الإنسانية إلى الإيمان والطاعة والعدالة من خلال إبراهيم. والآن، يرى خليل الله الواقع واحتياجات العالم، ويصلي من أجل الذين هم على وشك أن يُعاقَبوا ويتضرع لكي يخلصوا.

قدر إبراهيم المشكلة فورًا بكل جدية وقال لله: "أَحَقًّا تُهلِكُ البارَّ مع الشِّرِّير؟ لعلَّه يُوجَدُ خَمْسونَ بارًّا في المدينة، أَحَقًّا تُهلِكُها ولا تَصْفَحُ عَنها مِن أَجلِ الخَمْسينَ بارًّا الَّذينَ فيها؟ حاشَ لَكَ أَن تَصنَعَ مِثْلَ هٰذا: أَن تُميتَ البارَّ مع الشِّرِّير، فيَكونُ البارُّ كالشِّرِّير. حاشَ لَكَ! أَدَيَّانُ الأَرضِ كُلِّها لا يَدينُ بالعَدْل؟" (الآيات ٢٣ – ٢٥). متحدثًا بهذه الكلمات بشجاعة عظيمة، يضع إبراهيم أمام الله ضرورة تجنب أحد أساليب العدالة السطحية: إذا كانت المدينة مذنبة، فمن الصحيح معاقبتها على جريمتها وتنفيذ العقوبة، ولكن - يؤكد أبو الأباء – ليس من العدل معاقبة جميع سكانها بلا تمييز. إذا كان هناك أبرياء في المدينة، فلا يجوز معاقبتهم كالمذنبين. يقول إبراهيم بحق لله أنه قاضي عادل لا يمكن أن يتصرف هكذا.

إذا قرأنا النص بعناية أكبر، ندرك أن طلب إبراهيم أكثر جدية وأعمق، لأنه لا يقتصر على طلب الخلاص للأبرياء فقط. إبراهيم يطلب الغفران للمدينة بأكملها، ويفعل ذلك طالبًا عدالة الله؛ في الواقع، يقول للرب: "أَحَقًّا

تُهلِكُها ولا تَصْفَحُ عَنها مِن أَجلِ الخَمْسينَ بارًّا الَّذينَ فيها؟" (الأية ٢٤ ب). وهكذا، يقدم فكرة جديدة عن العدالة: ليست العدالة التي تقتصر على معاقبة المذنبين، كما يفعل البشر، ولكن عدالة مختلفة، عدالة إلهية، تبحث عن الخير وتخلقه من خلال الغفران الذي يحول الخاطئ، ويخلصه. بصلاته، لا يطلب إبراهيم عدالة تعويضية فقط، بل تدخلًا للخلاص، يراعي الأبرياء ويحرر الأشرار من الذنب عن طريق الغفران. يمكن تلخيص فكر إبراهيم، الذي يبدو تقريبًا متناقضًا، بهذه الطريقة: بالطبع لا يمكن معاملة الأبرياء مثل الجناة، هذا أمر ظالم، ولكن يجب على العكس معاملة الجناة كما لو كانوا أبرياء، من خلال تنفيذ عدالة "فائقة"، ومنحهم فرصة للخلاص، لأنه إذا قبل المذنبون غفران الله واعترفوا بالذنب وسمحوا لأنفسهم بالخلاص، فلن يستمروا في فعل الشر، بل سيصبحون أيضًا أبرارًا دون الحاجة إلى العقاب.

هذا هو طلب العدالة الذي يطلبه إبراهيم في شفاعته، طلب يستند إلى اليقين بأن الرب رحوم. إبراهيم لا يطلب من الله شيئًا يتعارض مع جوهره، بل يطرق باب قلب الله عالمًا مشيئته الحقيقية. سدوم، بالطبع مدينة كبيرة، وخمسين شخصًا صالحًا يبدو أنهم قليلون، ولكن أليست عدالة الله وغفرانه دليلًا على قوة الخير، حتى لو بدا أصغر وأضعف من الشر؟ كان من المفترض أن يوقف تدمير مدينة سدوم الشر في المدينة، ولكن إبراهيم يعلم أن لدى الله طرقًا ووسائل أخرى للحد من انتشار الشر. يوقف الغفران دوامة الخطيئة، هذا بالضبط سبب تضرع إبراهيم إلى الله. وعندما يوافق الرب على أن يغفر للمدينة إذا وجد فيها خمسين بارًا، تبدأ صلاة الشفاعة بالوصول إلى أعماق رحمة الله. إبراهيم - كما نتذكر - يقلل تدريجيًا من عدد الأبرياء اللازمين للخلاص: إذا لم يكونوا خمسين، فقد يكفي خمسة وأربعين، وظل يخفض العدد حتى وصل لعشرة، مستمرًا في تضرعه الجسور في إصراره: " لَرُبَّما وُجِدَ هُناكَ أَربَعون ... ثَلاثون... عِشْرون... عَشَرَةَ" (را. الآيات ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢). وكلما انخفض العدد، زادت رحمة الله الذي يصغي بصبر إلى الصلاة، ويستقبلها ويكرر في كل تضرع: "أَصْفَحُ... لا أُهلِكُها... لا أَفعَلُ" (راجع الآيات ٢٦ و٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢). هكذا، بفضل شفاعة إبراهيم، يمكن إنقاذ سدوم، حتى لو عُثِر فيها على عشرة أبرياء فقط. هذه هي قوة الصلاة. لأن من خلال الشفاعة، تُظهر الصلاة إلى الله من أجل خلاص الآخرين، الرغبة في الخلاص التي يحملها الله دائمًا تجاه الخاطئ.

في الواقع، لا يمكن قبول الشر، يجب تحديده وتدميره من خلال العقوبة: كان لتدمير سدوم هذه المهمة بالضبط. لكن الرب لا يريد موت الشرير، بل يريد أن يتوب ويحيا (راجع حز ١٨ :٢٣؛ ٣٣: ١١). رغبته دائمًا هي الغفران، والخلاص، وإعطاء الحياة، وتحويل الشر إلى خير. إذًا، هذه الرغبة الإلهية التي في الصلاة تصبح رغبة الإنسان ويُعبَّر عنها من خلال كلمات الشفاعة. بتضرعه، يُقدِم إبراهيم صوته، وأيضًا قلبه، لإرادة الله: رغبة الله هي الرحمة، والمحبة، والرغبة في الخلاص، ووجدت رغبة الله هذه في إبراهيم وصلاته فرصة للظهور على نحو ملموس في تاريخ البشر، ليكون حاضرًا حيث يحتاج الناس إلى النعمة. بصوت صلاته، يُعبّر إبراهيم عن رغبة الله، التي لا تكمن في تدمير سدوم، بل إنقاذها، وتقديم الحياة للخاطئ المُهتدي.

هذا ما يريده الرب، ومحادثته مع إبراهيم هي مظهر ممتد وواضح لمحبته الرحيمة. الحاجة إلى العثور على رجال أبرار داخل المدينة تضائلت، وفي النهاية سيكون من الكافي أن يكون هناك عشرة أبرار لخلاص السكان بأكملهم. لم يرد سبب توقف إبراهيم عند العدد عشرة في النص. ربما هو الرقم الذي يشير إلى الحد الأدنى

للصلاة عند اليهود (حيث ما زال عشرة أشخاص الحد الأدنى اللازم حتى اليوم للصلاة اليهودية العامة). ومع ذلك، هذا عدد قليل، جزء صغير من الخير نبدأ به لإنقاذ الباقي من شر كبير. ومع ذلك، لم يتم العثور حتى على عشرة أبرار في سدوم وعمورة، ودُمّرت المدن. وهذا الدمار يظهر بشكل تناقضي ضروريًا من خلال صلاة شفاعة إبراهيم. لأن تلك الصلاة بالتحديد كشفت عن إرادة الله الخلاصية: كان الرب مستعدًا للغفران، وأراد أن يفعل ذلك، لكن المدن كانت مُحاصرة في شر شامل ومُعيق، بدون حتى عدد قليل من الأبرار للبدء في تحويل الشر إلى خير. لأن هذا بالتحديد هو طريق الخلاص الذي طلبه إبراهيم: الخلاص لا يعني ببساطة الهروب من العقاب، بل التحرر من الشر الساكن فينا. ليس من الضروري إسقاط العقوبة، بل الخطيئة. "قال إرميا النبي للشعب المتمرد: إِنَّ شَرَّكِ يُؤَدِّبُكِ وَٱرتِداداتِكِ تُبَكِّتُكِ فٱعلَمي وَٱنظُري أَنَّ تَركَكِ الرَّبَّ إِلٰهَكِ" (إر ٢: ١٩). من هذا الحزن والمرارة يريد الرب أن يخلص الإنسان، ويحرره من الخطيئة. لذلك، من الضروري أن يكون هناك تحولًا داخليًا، نقطة انطلاق للخير، بداية يمكن أن تكون نقطة انطلاق لتحويل الشر إلى خير، والكراهية إلى محبة، والانتقام إلى الغفران. لهذا السبب يجب أن يكون هناك أبرار في المدينة، ويكرر إبراهيم باستمرار: " لَرُبَّما وُجِدَ هُناكَ...". "هُناكَ": في الواقع المتضرر يجب أن يكون هناك بذرة خير يمكنها أن تشفي وتعيد الحياة. إنها كلمة موجهة أيضًا إلينا: أن نجد بذرة الخير في مدننا، ونبذل قصارى جهدنا لضمان أن يكون هناك أكثر من عشرة أبرار، ولجعل مدننا تعيش حقًا وتبقى على قيد الحياة ولننقذ أنفسنا من هذه المرارة الداخلية أي غياب الله. وفي الواقع المتضرر لسدوم وعمورة، لم توجد بذرة الخير هذه.

ولكن رحمة الله في تاريخ شعبه تذهب إلى أبعد من ذلك. إذا كان إنقاذ سدوم يتطلب وجود عشرة أبرار، فسيقول النبي إرميا، نيابة عن الله القدير، أن بارًا واحدًا كافيًا لخلاص أورشليم: "طوفوا في شَوارِعِ أُورَشَليم وٱنظُروا وأَدرِكوا وفَتِّشوا في ساحاتِها هل تَجِدونَ إِنسانًا هل يوجَدُ مَن يَعمَلُ لِلْحَقّ ويَطلُبُ الأَمانَةَ فأَغْفِرَ لَها" (٥: ١). انخفض العدد مرة أخرى، وظهر صلاح الله بشكل أكبر. ومع ذلك، هذا لم يكفي، لم تجد رحمة الله الوافرة الجواب الصالح الذي تبحث عنه، وتحت حصار العدو سقطت أورشليم. يجب أن يصبح الله نفسه ذلك البار. وهذا هو سر التجسد: لضمان وجود شخص بار، يصبح الله نفسه إنسانًا. سيكون هناك دائمًا شخص بار، ولكن يجب أن يكون الله نفسه هو ذلك البار. ستظهر محبة الله الإلهية الغير محدودة والمدهشة بشكل كامل عندما يصير ابن الله إنسانًا، الصالح إلى الأبد، البار الكامل، الذي سيخلص العالم بأسره بموته على الصليب، ويغفر ويتشفع من أجل الذين "لا يَعلَمونَ ما يَفعَلون" (لوقا ٢٣ :٣٤). حينها ستجد صلاة كل شخص جوابها، وستُسمع شفاعتنا تمامًا.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، علينا أن نتعلم من تضرع إبراهيم، أبونا في الإيمان، أن نفتح قلوبنا بشكل أوسع لرحمة الله الوافرة، حتى نستطيع في صلاتنا اليومية أن نتوق لخلاص البشرية ونطلبه بالمثابرة والثقة من الرب العظيم في محبته. شكرًا.

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٢٥ مايو ٢٠١١

أيها الإخوة والأخوات الاعزاء،

أود اليوم التفكير معكم حول نص سفر التكوين الذي يخبرنا عن حدث خاص في تاريخ البطريرك يعقوب. إنه نص صعب التفسير، ولكنه مهم لحياة إيماننا وصلاتنا؛ أعني نص صراع يعقوب مع الله في معبر يبوق، والذي سمعناه لتونا.

كما تذكرون، كان يعقوب قد أخذ من أخيه التوأم عيسو بكوريته مقابل صحن من العدس، وأخذ أيضًا بالخداع بركة أبيه إسحق، الذي كان قد أضحى مسنًا جدًا، مستغلاً عماه. وإذ نجا من غضب أخيه عيسو، لجأ إلى قريب له، لابان؛ وتزوج واغتنى وقرر العودة إلى أرضه الأم، مستعدًا لمواجهة أخيه بعد أن قام ببعض الخطوات التمهيدية. ولكن عندما أضحى كل شيء جاهزًا للقاء، وبعد أن جعل خاصته يعبرون معبر النهر الذي كان يحد أرض عيسو، بقي يعقوب وحيدًا، وهاجمه فجأة غريب صارعه طوال الليل. وهذا الصراع الجسدي – الذي نجده في الفصل ٣٢ من كتاب التكوين – أضحى بالنسبة له خبرة فريدة لله.

الليل هو الزمن المؤاتي للعمل في الخفاء، وبالتالي الزمن المؤاتي ليعقوب لكي يدخل في أرض أخيه عيسو دون أن يُرى، ولربما لكي يفاجئ أخيه. وإذا به يُفاجئ بهجوم غير متوقع، لم يكن مستعدًا له. لقد حاول أن يستعين بحنكته لكي يتحاشى حالة خطيرة، معتقدًا أنه يستطيع أن يسيطر على الأمور، ولكنه وجد نفسه أمام صراع غريب يلاقيه في الوحدة دون أن يُفسح له المجال بأن ينظم نفسه لدفاع مناسب. في حالة ضعفه، يقوم البطريرك يعقوب في الليل بمصارعة مجهول. النص لا يخبرنا عن هوية المعتدي؛ ويستعمل التعبير العبراني لكي يتحدث عن أحد ما بشكل عام؛ نحن إذاً بصدد وصف غير محدد يريد أن يبقي على هالة السر. في الظلام، لا يستطيع يعقوب ان يرى بوضوح مصارعه، الذي يبقى مجهولاً حتى بالنسبة للقارئ؛ أحد ما يقاوم البطريرك، هذا هو الأمر الأكيد الذي يخبرنا عنه الكاتب. وفقط في الختام، عندما سينتهي الصراع وسيغيب هذا "الأحد ما"، عندها فقط سيعطيه يعقوب اسمًا وسيستطيع أن يقول أنه صارع الله.

يتم الحدث إذًا في جو من الغموض ويصعب أن ندرك هوية المعتدي على يعقوب، كما ويصعب أن ندرك مجريات الصراع. من خلال قراءتنا للنص نجد صعوبة في أن نقرر من الفائز بين المصارعين. فالأفعال المستخدمة هي غالبًا من دون فاعل محدد، والأفعال تتم تقريبًا بشكل متناقض، وهكذا عندما نظن أن احدهما هو الغالب، نرى أن الفعل التالي يكذب ما يقال ويقدم الآخر كفائز.

ففي البدء، يبدو وكأن يعقوب هو الأقوى، وأن الخصم – بحسب قول النص – "لم يستطع أن يغلبه" (آية ٢٦). ومع ذلك، نراه يضرب يعقوب على حق وركه متسببًا بخلعه. يجب علينا إذًا أن نفكّر بأن يعقوب يرضخ، ولكن ها إن الآخر يطلب إليه أن يفلته؛ والبطريرك يرفض ويشترط: "لن أتركك قبل أن تباركني" (الآية ٢٧). إن ذاك الذي نال بركة البكر بخداع أخيه، يريد الآن البركة من المجهول، الذي ربما بدأ أن يرى فيه الملامح الإلهية.

وإذا بالخصم، الذي يبدو محتجزًا وبالتالي مغلوبًا من يعقوب، بدل أن يرضخ لطلب البطريرك يسأله اسمه: "ما اسمك؟". ويجيب البطريرك: "يعقوب" (الآية ٢٨). وهنا يأخذ الصراع إطارًا هامًا. معرفة اسم شخص ما تعني

نوعًا من السلطان على هذا الشخص، لأن الاسم، في الفكر الكتابي، يتضمن الواقع الأعمق في الشخص، ويكشف عن سره ومصيره. معرفة الاسم تعني إذًا معرفة حقيقة الشخص وهذا الأمر يسمح بالسيطرة عليه. ولذا، لدى سؤال الغريب يكشف يسوع عن اسمه، فيضع نفسه في يدي عدوه، وهذا نوع من الاستسلام، ومن التسليم الكامل للذات للآخر.

ولكن، في بادرة الاستسلام هذه يبدو، ويا للمفارقة، أن يعقوب عن الغالب، لأنه ينال اسمًا جديدًا، إلى جانب الاعتراف بالنصر من قبل الخصم الذي يقول له: "لا يكون آسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس فغلبت" (آية ٢٩). يعقوب كان اسم يذكر بأصل البطريرك العويص؛ بالعبرية الاسم يذكر بـ "العقب"، ويذكر القارئ بولادة يعقوب الذي، لدى خروجه من حشا أمه، كان يمسك بعقب قدم أخيه التوأم (راجع تك ٢٥، ٢٦)، ممثلاً بذلك تقريبًا تجازوه لأخيه في سن النضوج؛ ولكن اسم يعقوب يذكر أيضًا بـ "الخداع". والآن، من خلال الصراع، يكشف يعقوب لخصمه، في بادرة استسلام وتسليم، عن واقعه الخادع، الاستغلالي؛ ولكن الآخر، الذي هو الله، يحول هذا الواقع السلبي إلى واقع إيجابي: يعقوب المخادع يضحي إسرائيل، وينال اسمًا جديدًا يرسم فيه هوية جديدة. ولكن النص يحافظ هنا أيضًا على طابعه المزدوج، لأن المعنى الأرجح لكلمة إسرائيل هو "الله قوي، الله ينتصر."

وعليه فإن يعقوب قد انتصر – والخصم بالذات صرح بذلك – ولكن هويته الجديدة التي نالها من الخصم بالذات، تشهد لنصر الله. وعندما سيطلب يعقوب من الخصم أن يقول له اسمه، نرى أن ذلك يرفض أن يقوله له، ولكنه يكشف عن ذاته ببادرة واضحة، مانحًا يعقوب بركته. تلك البركة التي طلبها البطريرك في مطلع الصراع، ينالها الآن. وليست بركة مجبولة بالخداع، بل بركة معطاة مجانًا من الله، ويعقوب يستطيع أن ينالها، لأنه الآن بات وحيدًا، دون حماية، دون خداع ولف ودوران، ولأن يسلم ذاته بضعفه، ويقبل أن يستسلم ويعترف بحقيقة ذاته. وهكذا في نهاية الصراع، يقبل البركة ويستطيع أخيرًا أن يعترف بالآخر، بإله البركة، فيقول: "حقًا لقد رأيت الله وجهً الوجه وبقيت حيًا" (آية ٣١)، ويستطيع الآن أن يعبر المعبر، حاملاً اسمًا جديدًا وقد "ربحه" الله، وترك فيه علامة دائمة، العرج للإصابة التي تعرض لها.

التفاسير التي يقدمها علم التأويل الكتابي لهذا النص هي كثيرة؛ بشكل خاص، يعترف الدارسون أنه يتضمن مقاصد وموارد أدبية مختلفة، وإشارات أيضًا إلى أخبار شعبية. ولكن عندما يتم اختيار هذه الموارد من قِبل الكتّاب الملهمين، ويتم إدخالها في النص الكتابي، تبدل معناها وينفتح النص على أبعاد أوسع. ويقدم نص الصراع في يبوق ذاته للمؤمن كنص نموذجي يتحدث فيه شعب إسرائيل عن أصله ويرسل ملامح علاقة خاصة بين الله وشعبه. لهذا، كما يقول تعليم الكنيسة الكاثوليكية، "إن التقليد الروحي في الكنيسة رأى في هذا النص رمز الصلاة كصراع الإيمان ونصر الثبات" (عدد ٢٥٧٣). النص الكتابي يتحدث عن ليل البحث عن الله الطويل، عن الصراع للتعرف على اسمه ولرؤية وجهه؛ إنه ليل الصلاة التي بقوة وثبات تطلب إلى الله البركة والاسم الجديد، واقع جديد يكون ثمرة الارتداد والغفران.

ليل يعقوب في معبر يبوق يضحي هكذا للمؤمن مرجعية لفهم العلاقة بالله التي تجد في الصلاة التعبير الأسمى. تتطلب الصلاة ثقة، قربًا كبيرًا ورمزيًا من الله وكأنه خصم، عدو، ولكنه في الحقيقة رب يبارك ويبقى دومًا غامضًا، ويبدو وكأنه لا يمكن الوصول إليه. ولذا يستخدم الكاتب الإلهي رمز الصراع، الذي يتطلب قوة نفس، ثبات، وشدة للوصول إلى ما تريده النفس. وإذا كان موضوع الرغبة العلاقة بالله، بركته وحبه، فعندها لا

يستطيع الصراع إلا أن يؤدي إلى هبة الذات لله، في الاعتراف بالضعف الشخصي، الذي يتغلب عندما يتوصل للاستسلام في يدي الله الرحيمة.

أيها الإخوة والاخوات الاعزاء، إن حياتنا بأسرها هي مثل ليل صراع وصلاة طويل، يجب أن نهرقها في الرغبة وفي طلب بركة الله التي لا يمكننا أن نحوزها معتمدين على قوانا، بل يجب أن ننالها منه بالتواضع، كهبة مجانية تسمح لنا في نهاية المقام أن نتعرف على وجه الله. وعندما يتم هذا الأمر، يتغير واقعنا بأسره، وننال اسمًا جديدًا وبركة الله. وأكثر من ذلك: إن يعقوب، الذي نال اسمًا جديدًا، يضحي إسرائيل، ويعطي للمكان الذي صارع فيه الله وصلى إليه اسمًا جديدًا: يسميه "فنويل" الذي معناه "وجه الله". بهذا الاسم يعترف بان ذلك المكان مليء بحضور الرب الذي يقدس تلك الأرض ويطبع فيها ذكرى ذلك اللقاء السري مع الله. من يترك للرب المجال لأن يباركه، يستسلم إليه، ويسمح له أن يحوله إلى ذاته، ويبارك بهذا الشكل العالم. فليساعدنا الرب لكي نجاهد جهاد الإيمان الحسن (راجع ١ تيم ٦، ١٢؛ ٢ تيم ٤، ٧) وأن نطلب في صلاتنا بركته، لكي تجددنا في انتظار رؤية وجهه. شكرًا.

* * *

نقله من الإيطالية إلى العربية روبير شعيب – وكالة زينيت العالمية

جميع الحقوق محفوظة لدار النشر الفاتيكانية

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١ يونيو ٢٠١١

شفاعة موسي من أجل الشعب (خر ٣٢: ٧-١٤)

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

في قراءتنا للعهد القديم نجد شخصية تبرز أكثر من غيرها، هي شخصية موسى كرجل صلاة. موسى، النبي العظيم والقائد في زمن الخروج، قام بدوره كوسيط بين الله واسرائيل، حاملاً لدى الشعب كلمات ووصايا إلهية، حاملاً الشعب إلى حرية أرض الميعاد، معلمًا الإسرائيليين أن يعيشوا بالطاعة وبالثقة نحو الله خلال الإقامة الطويلة في الصحراء، وخصوصًا بالصلاة. يصلي موسى من أجل الفرعون عندما حاول الله من خلال الضربات أن يجعل قلب المصريين يتوب (راجع خر ٨ – ١٠)؛ ويطلب إلى الرب شفاء مريم أخته لدى إصابتها بداء البرص (راجع عدد ١٢، ٩ – ١٣)، ويتضرع من أجل الشعب الذي ثار، وخاف بسبب تقرير المستطلعين (راجع عدد ١٤، ١ – ١٩)، ويصلي أيضًا عندما كانت النيران ستأكل المقام (راجع عدد ١١، ١ – ٢) وعندما كانت الأفاعي تستبيح الاسرائيليين (راجع عدد ٢١، ٤ – ٩)؛ يتوجه إلى الرب ويعترض عندما تضحي رسالته ثقيلة (راجع عدد ١١، ١٠ – ١٥)؛ ويرى الله ويتحدث إليه "وجهًا لوجه، كما يتحدث الإنسان إلى صديقه" (راجع خر ٢٤، ٩ – ١٧؛ ٣٣، ٧ – ٢٣؛ ٣٤، ١ – ١٠ . ٢٨ – ٣٥).

وحتى عندما يطلب الشعب عند جبل سيناء من هارون أن يصنع لهم عجلاً ذهبيًا، يصلي موسى معبرًا بشكل نموذجي عن دوره كشفيع. نجد الخبر في الفصل ٣٢ من كتاب الخروج وهناك سرد إزائي في كتاب تثنية الاشتراع الفصل التاسع. وأود أن أتوقف على هذا الحدث في تعليم اليوم، وبشكل خاص على صلاة موسى التي نجدها في سرد سفر الخروج. يجد شعب اسرائيل نفسه على سفح جبل سيناء، بينما موسى كان ينتظر على الجبل هبة ألواح الوصايا، صائمًا ٤٠ يومًا وأربعين ليلة (راجع خر ٢٤، ١٨؛ تث ٩، ٩). للعدد أربعين قيمة رمزية وهو يعني الخبرة المكتملة، بينما يعبّر الصوم عن أن الحياة تأتي من الله، فهو الذي يعيلها. فعل الأكل، بالحقيقة، يعني تناول الطعام الذي يسندنا؛ ولذا، يضحي الصوم، أي التخلي عن الأكل، فعلاً ذا معنى ديني: إنه وسيلة للإشارة إلى أن الإنسان لا يعيش بالخبز وحده، بل بكل كلمة تخرج من فم الرب (راجع تث ٨، ٣). من خلال صومه، يبين موسى أنه ينتظر هبة الشريعة الإلهية كمصدر حياة: فهي تكشف عن إرادة الله وتغذي قلب الإنسان، وتجعله يدخل في عهد مع العلي، الذي هو نبع الحياة، هو الحياة بالذات.

ولكن بينما يعطي الرب على الجبل هبة الشريعة لموسى، يقوم الشعب على سفح الجبل بالعصيان. لعدم مقدرتهم على عيش الانتظار وغياب الوسيط، يطلب الإسرائيليون إلى هارون: "اصنع لنا إلهًا يسير أمامنا، لأن موسى، ذلك الرجل الذي أخرجنا من أرض مصر، لا نعرف ماذا حل به" (خر ٣٢، ١). تعب الشعب من المسير مع الله اللامنظور، خصوصًا الآن بعد أن اختفى موسى الوسيط أيضًا، ولذا يطلب الشعب حضورًا ملموسًا لله، ويجد في العجل الذهبي الذي صنعه هارون إلهًا سهل المنال، يمكن التحكم به، وهو على مستوى الإنسان. هذه تجربة مستمرة في مسيرة الإيمان: تجنب السر الإلهي من خلال بناء إله مفهوم، يطابق نماذجنا ومشاريعنا. ما يجري في سيناء يبين كل جهل وخداع بطلان هذه الفكرة، لأن المزمور ١٠٦ يصرح بسخرية: "لقد بدلوا مجده بصورة عجل يرعى العشب" (مز ١٠٦، ٢٠). ولهذا يقوم الرب بردة فعل ويأمر موسى بالنزول عن الجبل، مخبرًا إياه بما كان الشعب يفعله ويختم بهذه الكلمات: "دع غضبي يتقد ضدهم فيلتهمهم. أما أنت فسأجعلك أمة

كبيرة" (خر ٣٢، ١٠). كما كان الأمر مع إبراهيم في شأن سدوم وعمورة، كذلك الآن، يكشف الله لموسى ما يريد فعله، كما وكأنه لا يريد أن يتصرف من دون رضاه (راجع عا ٣، ٧). ويقول له: "دع غضبي يتقد". بالواقع يقول الرب "دع غضبي يتقد" لأن الله يريد من موسى أن يتدخل وأن يطلب إليه ألا يفعل ذلك، مبينًا بهذا الشكل كيف أن رغبة الله هو دومًا الخلاص. وكما كان الأمر بالنسبة للمدينتين على أيام ابراهيم، فإن القصاص والدمار الذي يتم من خلالهما التعبير عن غضب الله كرفض للشر، يبينان جدية وقدر الخطيئة التي تم ارتكابها؛ في الوقت عينه، تود طلبة الشفيع أن تظهر إرادة الغفران التي يبديها الرب. هذا هو خلاص الله، الذي يتضمن الرحمة، ولكنه يستنكر حقيقة الخطيئة، والشر الموجود، وبهذا الشكل، بعد أن يعترف الخاطئ بخطيئته ويرفض شره، يستطيع أن يسمح لله أن يغفر له وأن يحوله. صلاة الشفاعة تجعل رحمة الله فاعلة في واقع الإنسان الخاطئ، وتجد هذه الرحمة صوتها في دعاء الشفيع وتحضر من خلاله حيث هناك حاجة للخلاص.

يتركز دعاء موسى بأسره على الأمانة وعلى نعمة الرب. يشير أولاً إلى تاريخ الخلاص الذي بدأه الله مع خروج إسرائيل من مصر، ولكي يذكر الوعد القديم الذي أعطاه الله للآباء. لقد قام الرب بفعل خلاص منجيًا الشعب من عبودية المصريين؛ ولذا يتساءل موسى لم يجب أن "يقول المصريون: أخرجهم بالخداع، لكي يجعلهم يفنون بين الجبال ويزيلهم من على وجه الأرض" (خر ٣٢، ١٢). إن عمل الخلاص الذي بدأ يجب أن يصل إلى نهاية؛ إذا جعل الله شعبه يفنى، فهذا الأمر يمكن تفسيره كعلامة لعدم القدرة الإلهية في تحقيق مشروع الخلاص. لا يستطيع الله أن يسمح بذلك: هو الرب الصالح الذي يُخلص، هو ضامن الحياة، هو إله الرحمة والغفران، إله التحرير من الخطيئة التي تقتل. وهكذا يتوجه موسى إلى حياة الله الباطنية مقابل الحكم الخارجي. ويجادل موسى الرب فيقول أنه إذا فني المختارون، حتى ولو كانوا مذنبين، فهذا قد يظهر بأن الله غير قادر أن يتغلب على الخطيئة. وهذا الأمر هو غير مقبول. لقد اختبر موسى بشكل ملموس إله الخلاص، وقد أرسل وسيطًا للتحرير الإلهي والآن، من خلال صلاته، يضحي مترجمًا لقلق مزدوج، فهو قلق لمصير شعبه، ولكن أيضًا هو قلق للوقار الذي يستحقه الرب، ولحقيقة اسمه. يريد الشفيع أن يخلص شعب الله، لأنه القطيع الذي أوكل إليه، ولكن أيضًا لأنه من خلال ذلك الخلاص تظهر حقيقة الله. حب الإخوة وحب الله يتداخلان في صلاة الشفاعة، ولا فصل بينهما. موسى، الشفيع، هو رجل يتجاذبه حبّان، وفي الصلاة يتوحدان في توق واحد إلى الخير.

ومن ثم يتوجه موسى إلى أمانة الله، متذكرًا وعوده: "اذكر ابراهيم، اسحق وإسرائيل عبيدك الذي أقسمت لهم بذاتك وقلت: سأجهل نسلك أكثر من نجوم السماء، وكل هذه الأرض التي تكلمت لك عنها، سأعطيها لنسلك وسيملكونها للأبد" (خر ٣٢، ١٣). يتذكر موسى تاريخ التأسيس والبدء، تاريخ آباء الشعب واختيارهم المجاني، والذي كانت المبادرة فيه لله. لم ينالوا الوعد لاستحقاقاتهم، بل بفضل اختيار الله الحر ولحبّه (راجع تث ١٠، ١٥). والآن، يطلب موسى إلى الرب أن يستمر في أمانته في تاريخ الاختيار والخلاص، وأن يغفر لشعبه. لا يخترع الشفيع أعذارًا لخطيئة شعبه، ولا يعدد استحقاقات مزعومة لشعبه أو لذاته، بل يتوجه إلى مجانية الله: الإله الحرّ، الذي هو بكامله حبّ، والذي لا ينفك يفتش عن من ابتعد عنه، والذي يبقى دومًا أمينًا لذاته ويقدم للخاطئ إمكانية الرجوع إليه لكي يضحي من خلال الغفران بارًا وقادرًا على الأمانة. يطلب موسى إلى الله أن يظهر ذاته أقوى من الخطيئة ومن الموت، ومن خلال صلاته يحث على الكشف الإلهي. موسى يظهر كوسيط الحياة، وكشفيع يشدد الروابط بين أبناء الشعب؛ وإذ يتوق فقط إلى الخلاص الذي يريده الله، يتخلى عن إمكانية أن يضحي شعبًا جديدًا مرضيًا لدى الله. العبارة التي وجهه لها الله: "سأجعل منك شعبًا كبيرًا"، لا يأخذها صديق الله بعين الاعتبار، بل يظهر مستعدًا لكي يحمل على عاتقه كل خطيئة الشعب، وكل نتائجها أيضًا. وبعد أن

يحطم العجل الذهبي ويعود إلى الجبل لكي يطلب من جديد الخلاص لإسرائيل، سيقول للرب: "والآن، اغفر لهم خطيئتهم! وإلا فامحني من كتابك الذي كتبه!" (الآية ٣٢).

من خلال الصلاة، يتوق إلى توق الله، ويدخل الشفيع بشكل أعمق في معرفة الرب ورحمته ويضحي قادرًا على حب يصل إلى هبة الذات الكاملة. في موسى، الذي يقوم على قمة الجبل وجهًا لوجه مع الله ويضحي شفيعًا لشعبه ويقدم ذاته لأجله: "امحني". لقد وجد آباء الكنيسة في هذا تصويرًا مسبقًا للمسيح، الذي على قمة الصليب يقوم حقًا في حضرة الله، ليس فقط كصديق بل كابن. ولا يقدم ذاته فقط – "امحني" – بل من خلال قلبه المطعون يسمح بأن يتم محوه، ويضحي، كما يقول القديس بولس، خطيئة، حاملاً في ذاته خطايانا لكي نخلص نحن؛ إن تضرعه ليس مجرد تضامن، بل هو تطابق معنا: يحملنا جميعًا في جسده. وهكذا كل وجوده كإنسان وكابن هو صرخة إلى قلب الله، هو غفران، غفران يحول ويجدد.

أعتقد أنه يجب أن نتأمل في هذا الواقع. المسيح يقوم في حضرة الله ويصلي من أجلي. صلاته على الصليب هي معاصرة لكل البشر، معاصرة لي: هو يصلي من أجلي، لقد تألم وما زال من أجلي، لقد تطابق معي آخذًا جسدًا ونفسًا بشرية. وهو يدعونا للدخول معه في هذه الهوية، جاعلاً منا جسده، وروحًا واحدًا معه، لأنه من علو الصليب لم يحمل شرائع جديدة، ألواح حجر، بل حمل ذاته، جسده ودمه كعهد جديد. بهذا الشكل يجعلنا أخوة له بالدم، وجسدًا واحدًا معه، مطابقين له. يدعونا للولوج في هذا التطابق، لكي نتحد به من خلال توقنا لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا معه. نصلي إلى الرب لكي يحولنا هذا التطابق ويجددنا، لأن الغفران هو تجدد وتحول.

أود أن أختتم هذا التعليم بكلمات الرسول بولس إلى مسيحيي روما: "فمن يتهم الذين اختارهم الله؟ الله هو الذي يبرر ! ومن الذي يدين؟ المسيح يسوع الذي مات، بل قام، وهو الذي عن يمين الله والذي يشفع لنا؟. فمن يفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ إني واثق بأنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا أصحاب رئاسة، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، بوسعها أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (روم ٨، ٣٣ – ٣٥ . ٣٨ . ٣٩).

نقله من الإيطالية إلى العربية روبير شعيب – وكالة زينيت العالمية

حقوق النشر محفوظة لدار النشر الفاتيكانية

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٥ يونيو ٢٠١١

ترجمة المكتب الإعلامي الكاثوليكي بمصر من موقع vatican.va

الأنبياء والصلوات (١مل ١٨ :٢٠-٤٠)

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

كان للأنبياء دور عظيم في تعاليمهم ووعظهم في التاريخ الديني لإسرائيل قديمًا. تبرز شخصية إيليا من بينهم، الذي حركه الله لقيادة الشعب إلى التوبة. يعني اسمه "الرب إلهي"، وتتطورت حياته وفقًا لهذا الاسم، مكرسًا نفسه بالكامل لتحفيز الشعب على الاعتراف بالرب كإله واحد. يقول سيراخ عن إيليا: "وقامَ إِيلِيَّا النَّبِيُّ كالنَّار وتَوَقَّدَ كَلامُه كالمِشعَل" (سي ٤٨: ١). من خلال هذه النار، يجد إسرائيل طريقه مرة أخرى إلى الله. في خدمته، يصلي إيليا للرب ليعيد حياة ابن أرملة استضافته (راجع ١مل ١٧: ١٧-٢٤)، يصرخ إلى الله في تعبه وضيقه أثناء هروبه في الصحراء، حيث تطارده الملكة إِيزابَلَ إلى الموت (راجع ١مل ١٩: ١-٤)، ولكنه على جبل الكرمل يُظهر بشكل خاص قوته كشفيع أمام إسرائيل كله عندما صلي إلى الرب لكي يظهر ذاته وتتوب قلوب الشعب. هذا هو الحدث المسرود في الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول، والذي نتأمل فيه اليوم.

نتحدث عن مملكة الشمال في القرن التاسع قبل الميلاد، في عهد الملك آخاب، في وقت شهد فيه إسرائيل حالة من التوفيقية المفتوحة. إلى جانب الرب، كان الشعب يعبد البعل، الصنم المطمئن المُعتقد أنه مصدر هبة المطر، والمنسوب له القدرة على منح الخصوبة للحقول والحياة للإنسان والحيوان. على الرغم من ادعائهم باتباع الرب، الإله الغير مرئي والسري، كان الشعب يسعى أيضًا إلى إله سهل المنال والتنبؤ، معتقدين أنه يمكّنهم من نوال الخصوبة والازدهار مقابل الذبائح. كان شعب إسرائيل يستسلم لإغراء الوثنية، تجربة المؤمن المستمرة، واهمين أنفسهم بالقدرة على "خدمة سيدين" (راجع متى ٦ :٢٤؛ لو ١٦ :١٣)، وتسهيل طرق الإيمان الشاقة بالله القدير من خلال وضع ثقتهم أيضًا في إله عاجز صنعه البشر.

يجتمع إيليا مع شعب إسرائيل على جبل الكرمل بالتحديد للكشف عن الحماقة المضللة لهذا العمل، ويضعهم أمام ضرورة اتخاذ قرار: "إِن كانَ الرَّبُّ هو الإِلٰهَ فٱتَّبِعوه، وإِن كانَ البَعلُ إِيَّاه فٱتَّبِعوه" (١مل ١٨: ٢١). لم يترك النبي، حامل محبة الله، الشعب أمام هذا الاختيار، ولكنه يساعدهم، بالإشارة إلى علامة تكشف الحقيقة: سواء النبي إيليا أو أنبياء البعل سيجهزون ذبيحة وسيصلون، وسيكشف الإله الحقيقي ذاته، وسيستجيب بالنار التي ستحرق التقدمة. وهكذا تبدأ المواجهة بين النبي إيليا وأتباع البعل، وهي في الواقع بين رب إسرائيل، إله الخلاص والحياة، والصنم الباطل الأبكم الغير مرتبط بالواقع، الذي لا يمكنه أن يفعل شيئًا، سواء في الخير أو الشر (راجع إر ١٠ :٥). وتبدأ أيضًا المواجهة بين طريقتين مختلفتين تمامًا تجاه الله والصلاة.

في الواقع، يصرخ أنبياء البعل وينفعلون، ويرقصون قافزين، ويصبحون في حالة هيجان تصل إلى خدش أجسادهم "بِالسُّيوفِ والرِّماح، حتَّى سالَت دِماؤُهُم علَيهم" (١مل ١٨: ٢٨). إنهم يعتمدون على أنفسهم للجوء إلى إلههم، ويعتمدون على قدراتهم الشخصية لإثارة الجواب. وهكذا تظهر حقيقة الأصنام كخداع: فَكَر الإنسان في الصنم كشيء يمكن التحكم فيه، واستخدمه بقوته الخاصة، ويمكن الوصول إليه من الذات ومن قوة الحياة الشخصية. إن عبادة الأصنام بدلًا من فتح قلب الإنسان للآخرين، لعلاقة محررة تسمح له بالخروج من الضيق المفروض من الأنانية الشخصية للوصول إلى أبعاد المحبة والعطاء المتبادل، تغلق الفرد في دائرة حصرية

ويائسة من البحث عن الذات. والخداع هو عبادة الأصنام، يجد الإنسان ذاته مجبرًا على تصرفات مبالغ فيها، في محاولة مخادعة للخضوع إلى إرداته. لذلك، وصل أنبياء البعل لدرجة إيذاء أنفسهم، وخدش أجسادهم في تصرف درامي ساخر: للحصول على إجابة، علامة حياة من إلههم، يغطون أنفسهم بالدم، يتغطون رمزيًا بالموت.

هناك موقف صلاة آخر يظهره إيليا. إنه يطلب من الشعب الاقتراب، ومشاركته في عمله وتضرعه. هدف تحديه لأنبياء البعل هو إعادة الشعب الذي ضل الطريق وراء الأصنام إلى الله. لذلك يريد أن يتحد إسرائيل معه، ويصبح جزءًا وشريكًا في صلاته وما يحدث. ثم يقيم النبي مذبحًا، مستخدمًا كما يقول النص: "ٱثْنَي عَشَرَ حَجَرًا، على عَدَدِ أَسْباطِ بَني يَعْقوبَ الَّذي كانَ كَلامُ الرَّبِّ إِلَيه قائِلًا: "إِسْرائيلَ يَكونُ ٱسمُك". (الأية ٣١). هذه الأحجار تمثل إسرائيل كله، الذكرى الملموسة لتاريخ الاختيار والتفضيل والخلاص الذي شهد به الشعب. يتضمن عمل إيليا الليتورجي أهمية كبيرة. المذبح مكان مقدس يشير إلى حضور الرب، ولكن تلك الأحجار المُكوّنة له تُمثل الشعب، الذي يصبح الآن، من خلال وساطة النبي، رمزيًا أمام الله "مذبحًا"، مكانًا للتقديم والذبيحة.

ولكن من الضروري أن يتحول الرمز إلى واقع، أن يعترف إسرائيل بالإله الحقيقي ويستعيد هويته كشعب الله. لذا يطلب إيليا من الله أن يكشف ذاته، وتلك الحجارة التي كانت تُذكّر إسرائيل بحقيقته، تُذكّر أيضًا الرب بأمانته، التي يناشدها النبي في صلاته. كلمات تضرعه غنية بالمعنى والإيمان: "أَيُّها الرَّبُّ، إِلٰهُ إِبْراهيمَ وإِسحٰقَ وإِسْرائيل، لِيُعلَمِ اليَومَ أَنَّكَ إِلٰهٌ في إِسْرائيلَ وأَنِّي أَنا عَبدُكَ وبِأَمرِكَ قد فَعَلتُ كُلَّ هٰذه الأُمور. أَجِبْني يا رَبِّ أَجِبْني، لِيَعلَمَ هٰذا الشَّعبُ أَنَّكَ، أَيُّها الرَّبُّ، أَنتَ الإِلٰه، وأَنَّكَ أَنتَ رَدَدتَ قُلوبَهم إِلى الوراء" (الأيات ٣٦ – ٣٧؛ راجع تك ٣٢: ٣٦ -٣٧). تضرع إيليا إلى الرب ودعاه إله الآباء، متذكرًا الوعود الإلهية وتاريخ الاختيار والعهد الذي وحد الرب بشكل راسخ مع شعبه. إن مشاركة الله في تاريخ البشر لدرجة أن اسمه الآن يرتبط بشكل لا ينفصل بأسماء الآباء، يجعل النبي ينطق بهذا الاسم المقدس ليتذكر الله ويُظهر أمانته، ولكن أيضًا لكي يشعر إسرائيل بدعوته بالاسم ويُعيد اكتشاف أمانته. إن اللقب الإلهي الذي نطق به إيليا يظهر بشكل مفاجئ. بدلاً من استخدام الصيغة المعتادة "إله إبراهيم وإسحق ويعقوب"، يستخدم صيغة غير مألوفة قليلاً: "إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل". إستبدال اسم "يعقوب" بـ "إسرائيل" يذكرنا بالصراع الذي خاضه يعقوب عند معبر يبوق مع تغيير الاسم الذي يشير إليه السرد بشكل واضح (راجع تك ٣٢ :٣١) والذي تحدثت عنه في إحدى المقابلات السابقة. هذا الاستبدال له معنى زاخر في تضرع إيليا. مازال النبي يُصلي لشعب مملكة الشمال، الذي يُسمى بالتحديد إسرائيل، المختلف عن يهوذا، الذي يشير إلى مملكة الجنوب. والآن هذا الشعب الذي يبدو أنه نَسِيَ أصوله وعلاقته الخاصة مع الرب يشعر أنه دُعِيَ بالأسم بينما كان ينطق اسم الله، إله الآباء، إله الشعب: "أَيُّها الرَّبُّ، إِلٰهُ ... إِسْرائيل، لِيُعلَمِ اليَومَ أَنَّكَ إِلٰهٌ في إِسْرائيلَ".

الشعب الذي يصلي إيليا من أجله يعود إلى حقيقته، والنبي يطلب أيضًا أن تظهر حقيقة الرب وأن يتدخل ليتوب إسرائيل، ويبعده عن خداع الوثنية ويوجهه نحو الخلاص. طلبه هو أن يعلم الشعب في النهاية، ويعرف بشكل كامل من هو إلهه الحقيقي، ويتخذ قرارًا حاسمًا باتّباعه وحده، الإله الحقيقي. بهذه الطريقة فقط يُعترف بالله كما هو، مطلقًا وبارعًا، مع استبعاد إمكانية وضع آلهة أخرى بجواره، مما سينكر أنه مطلق ويجعله نسبيًا. هذا هو الإيمان الذي يجعل إسرائيل شعب الله؛ إنه الإيمان المُعلن في النص الشهير "Shema’ Israel" : "اِسمَعْ يا إِسْرائيل: إِنَّ الرَّبَّ إِلهَنا هو رَبٌّ واحِد فأَحبِبِ الرَّبَّ إِلهَكَ بكُلِّ قَلبكَ كلِّ نَفسِكَ كلِّ قُوَّتكَ" (تث ٦: ٤-٥). يجب

على المؤمن أن يستجيب للمطلقية الإلهية بمحبة مطلقة وشاملة تربط حياته بأكملها، وقوته، وقلبه. كان النبي بصلواته يتوسل بالتوبة، من أجل قلب شعبه بالتحديد: "لِيَعلمَ هذا الشعبُ أَنك، أَيُّها الرّب، أنت الإله، وأَنكَ أنت رَدَدتَ قُلوبَهم إلى الوَراء" (١مل ١٨ :٣٧). كان النبي إيليا، بشفاعته، يسأل الله عن ما يريده الله نفسه، ألا وهو أن يظهر ذاته بكل رحمته، وأن يظل وفيًا لحقيقته كرب الحياة الذي يغفر، ويبدل، ويحول.

وهذا ما حدث: فهَبَطَت نارُ الرَّبِّ وأَكَلَتِ المُحرَقَةَ والحَطَبَ والحِجارَةَ والتُّراب، حتَّى لَحِسَتِ الماءَ الَّذي في القَناة. فلَمَّا رأَى ذلك كُلُّ الشَّعبِ سَقَطوا على وجُوهِهم وقالوا: "الرَّبُّ هو الإله، الرَّبُّ هو الإله" (الآيات ٣٨ – ٣٩). النار، هذا العنصر الضروري والمُخيف في الوقت نفسه، المرتبط بالظهور الإلهي للعلّيقة المشتعلة وجبل سيناء، يُساعد الآن على الإشارة إلى محبة الله الذي يستجيب للصلاة ويظهر لشعبه. لم يستجب البعل، إله أبكم وعاجز، إلى صلوات أنبيائه. من ناحية أخرى، رد الرب، بطريقة واضحة، ليس بحرق المُحرَقة فقط، بل بتجفيف الماء حول المذبح. إسرائيل لم يعد لديه شكوك؛ جاءت الرحمة الإلهية لتلبية ضعفه وشكوكه ونقص إيمانه. الآن، هُزِم البعل، الصنم الزائف، والشعب الذي بدا وكأنه فقد الطريق، أعاد اكتشاف طريق الحق واكتشف نفسه من جديد.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، ماذا تقول لنا هذه القصة القديمة؟ وما هو حاضرها؟ أولاً، يتعلق الأمر بأولوية الوصية الأولى: عبادة الله وحده. عندما يختفي الله، يسقط الإنسان في عبودية الأصنام، كما أظهرت الأنظمة الاستبدادية في عصرنا، وكما تظهر أيضًا أشكالًا مختلفة من العدمية، التي تجعل الإنسان معتمدًا على الأصنام وتستعبده. ثانيًا، الهدف الأساسي للصلاة هو التوبة: نار الله التي تغير قلوبنا وتمكننا من رؤية الله وبالتالي العيش وفقًا لله ومن أجل الآخرين. ثالثًا: يخبرنا الآباء أن قصة النبي هذه نبوية، إذا - يقولون - أنها تتنبئ بالمستقبل، بالمسيح المستقبلي. إنها خطوة في المسيرة نحو المسيح. ويقولون لنا أننا هنا نرى نار الله الحقيقية: المحبة التي قادت الرب حتى الصليب، إلى بذل ذاته بالكامل. العبادة الحقيقية لله، إذن، هي بذل الإنسان ذاته لله وللآخرين، العبادة الحقيقية هي المحبة. والعبادة الحقيقية لله لا تُدمر، بل تجدد، وتحول. بالطبع، نار الله، أي نار المحبة، تحرق، تُحول، تُطهر، ولكن بهذه الطريقة لا تدمر بل تخلق حقيقة وجودنا، تعيد خلق قلوبنا. وهكذا، حقًا يُحيِينا بفعل نعمة نار الروح القدس، ومحبة الله، فلنعبده بالروحِ والحق. شكرًا.

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٢٢ يونيو ٢٠١١

أيّها الإخوة والأخوات،

في تعاليم الأربعاء السابقة، توقفنا عند بعض شخصيات العهد القديم، المهمّة خاصّةً لتأمّلنا عن الصلاة؛ تكلمتُ عن ابراهيم الذي يتشفعُ للمدن الغريبة، عن يعقوب الذي استلم البركة بعد صراعه في الليل، عن موسى الذي يطلبُ الغفران لشعبه، عن إيليا الذي يصلّي من أجل اهتداء اسرائيل. ومع تعليم اليوم، أودّ أن أبدأ طريقًا جديدًا في مسيرتنا: فبدلاً من التعليق على أحداثٍ وقعت لشخصياتٍ تخصُّ موضوعَ الصلاة، سندخلُ في "كتاب الصلاة" الأسمى، كتاب المزامير. وسنقرأُ في التعاليم القادمة وسنتأمّل بعضَ أجملِ المزامير وأكثرها قربًا من تقليد الصلاة في الكنيسة. وأريدُ اليوم أن أقدّم لها متكلّمًا عن كتاب المزامير ككل.

يقدّمُ سفرُ المزامير ذاته كـ"نموذج" الصلوات، مجموعة من مئة وخمسين مزمورًا يمنحُها التقليدُ الكتابي لشعب المؤمنين لتصبحَ صلاته وصلاتنا، ووسيلتنا للتوجّه لله والدخول في علاقةٍ معه. في هذا الكتاب تجدُ الخبرةُ البشرية، بتعدد أوجهها وبمجموع المشاعر التي ترافقُ الوجودَ البشري، تعبيرًا لها. ففي المزامير تتشابك وتظهرُ الفرحةُ والألم، رغبةُ الله وإدراكُ عدم الاستحقاق، سعادةٌ وشعورٌ بالترك، ثقةٌ بالله ووحدةٌ مؤلمة، ملءُ الحياة وخوفٌ من الموت. جميعُ حقيقة المؤمن تنضمّ إلى تلك الصلوات التي تبنّاها شعبُ اسرائيل، ومن بعده الكنيسة، كتأمّلٍ مميّز للعلاقة مع الله الواحد وكجوابٍ على ظهوره في التأريخ. وكصلواتٍ، تُشكّلُ المزامير تعبيرًا عن الذات والإيمان، إذ فيها يعرفُ الجميعُ بعضهم بعضًا، وفيها تُنقل خبرةُ القُرب المميّز من الله التي يُدعى كلُّ إنسانٍ إليها. وتجدُ شمولية الوجود البشري مكانًا لها في مختلف الأنواع الأدبية للمزامير: أناشيد، رثاء، تضرعات شخصيّة وجماعية، أناشيد شكر، مزامير توبوية، مزامير حكمية، وأنواع أخرى يمكنُ إيجادها في هذه المؤلّفات الشعرية.

على الرغم من هذا التعدد في التعبير، يمكنُ تحديدُ نوعين كبيرين يختصران صلاةَ المزامير: الدعاء المرتبط بالشكوى والحمد، وهما بُعدان مرتبطان لا ينفصلان لأنّ الدعاء يحيا باليقين بأن الله سيستجيب، وهذا يؤدي إلى الحمد وأداء الشكر. والحمدُ والشكر يبزغان من خبرة الخلاص، أي الحاجة للمساعدة التي يعبّر عنها الدعاء.

في الدعاء يشتكي المصلّي ويصفُ حالة الشدّة والخطر والخراب التي يمرّ بها، أو يعترفُ، كما في المزامير التوبوية، بالذنب والخطيئة طالبًا الغفران. فهو يعرضُ على الربّ طبيعته المحتاجة في ثقةِ أنْ يسمعَ الربُّ له، وهذا يتضمّنُ اعترافًا بطيبة الله وبرغبته في عمل الخير وبأنّه "محبٌّ للحياة" (راجع الحكمة ١١، ٢٦)، ومستعدّ للمساعدة والخلاص والغفران. هكذا وعلى سبيل المثال، يصلّي المزمّر في المزمور ٣١: "عليك يارب توكلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر (...) أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي، لأنك أنت حصني" (٢ و٥). وفي الشكوى يظهرُ شيئًا من الحمد، لأنها تأملُ في التدخّل الإلهي، وتظهرُ بوضوحٍ عندما يُصبحُ خلاصُ الله واقعًا. وذات الأمر في مزامير الشكر والحمد، ففي ذكر النعمة الموهوبة والتأمّل في عظمة رحمة الله، يعترفُ الإنسانُ بصغرهِ وبالحاجة إلى الخلاص، أساسِ كلّ دعاء. وهكذا، يعترفُ الإنسانُ لله بطبيعتهِ كخليقةٍ معرّضة حتمًا للموت، وبالتالي حاملة لرغبةٍ جذرية في الحياة. ولذلك يصرخُ المزمّر في المزمور ٨٦: "أحمدك يارب إلهي من كل قلبي، وأمجد اسمك إلى الدهر، لأن رحمتك عظيمة نحوي، وقد نجيت نفسي من الهاوية السفلى" (١٢

و١٣). بهذه الطريقة يتشابكُ، في صلاة المزامير، الدعاءُ والحمد ويكوّنان نشيدًا واحدًا يشيدُ بنعمة الربّ الأبدية التي تنحني على ضعفنا.

ولضمّ جماعة المؤمنين لهذا النشيد، مُنِحَ كتابُ المزامير لاسرائيل وللكنيسة، لأنّ المزامير تعلّمُ الصلاة. إذ فيها تصبحُ كلمةُ الله كلمةَ صلاة – وهي كلمات المزمّر الموحى له – التي تصبحُ كلمات المصلّي الذي يتلو المزامير. وهنا يكمنُ جمالُ وخصوصية هذا السفر الكتابي: إذ يحتوي على صلوات لا نجدها، خلافًا لغيرها من الصلوات الأخرى التي نجدها في الكتاب المقدّس، ضمن نصٍّ روائي يحددُ لها معناها ووظيفتها. فالمزامير أُعطيَت للمؤمن كنصٍّ للصلاة من الأصل، وهدفُها الوحيد أن تصبحَ صلاةً لمَن يتلوها ويتوجّه من خلالها إلى الله. ولأنّها كلمة الله، فمن يصلّي المزامير يتكلّم مع الله بذات كلمات الله التي منحها لنا، ويتوجّه إليه بذات الكلمات التي أعطانا إياها. وهكذا عند تلاوة المزامير يتعلّمُ المؤمن الصلاة، فهي مدرسة الصلاة.

يحدثُ ذاتُ الشيء عندما يبدأ الطفلُ بالكلام، أي يتعلّم التعبيرَ عن مشاعره وعواطفه وحاجاته بكلماتٍ لا تخرجُ منه بصورةٍ فطرية، ولكنّه يتعلّمها من والديه ومن جميع المحيطين به. ما يريدُ الطفل التعبيرَ عنه هو ما يعيشهُ، أمّا الوسيلة التعبيرية فيأخذها من آخرين، ويتبنّى شيئًا فشيئًا الكلمات التي تلقّاها من والديه لتصبح كلماته، ومن خلال تلك الكلمات يتعلّمُ طريقةً للتفكير والإصغاء، ويدخلُ في عالمٍ كامل من المفاهيم لينمو فيه ويرتبط بعلاقةٍ مع الواقع ومع البشر ومع الله. فلغةُ والديه تصبحُ في النهاية لغته، فيتكلّم بالكلمات التي تلقّاها من آخرين والتي أصبحت كلماته. هذا ما يحدثُ في صلاة المزامير أيضًا؛ إذ مُنِحَت لنا لنتعلم التوجّه إلى الله، لندخلَ في علاقةٍ معه، لنكلّمه عن أنفسنا بكلماته، لنجدَ لغةٍ للقاء الله. ومن خلال هذه الكلمات، سيسهلُ معرفة و تقبّل مقاييس سلوكه، والتقرّب من سرّ أفكاره وطرقه (راجع إشعيا ٥٥: ٨-٩)، للنموّ دومًا في الإيمان والمحبّة. وكما أن كلماتنا ليست مجرّد كلمات، بل تعلّمنا عالمًا واقعيًا من المفاهيم، هكذا أيضًا هذه الصلوات إذ تعلّمنا قلبَ الله وأن نتحدّث من خلاله معه، ليس فحسب، بل أن نتعلّم أيضًا مَن هو. وعندما نتعلّم التحدّث إليه، نتعلّمُ أن نصيرًا بشرًا، أي أن نصير أنفسنا.

ولهذا الغرض، يصبحُ مهمًا العنوانُ الذي أعطاه التقليدُ اليهودي لسفر المزامير؛ إذ يسمّى "تيليم"، وهو مصطلحٌ عبري يعني "الحمد"، ومن جذر اللفظةِ هذا نجدُ تعبيرَ "هللويا" الذي يعني حرفيًا: "احمدوا الربّ". كتابُ الصلوات هذا، وإن كان متعددَ الصيغ ومعقّد، فمع تعدد أشكاله الأدبية وتصنيفه بين الدعاء والحمد، فهو في النهاية كتابُ الحمد الذي يعلّمنا أداءَ الشكر والاحتفال بعظمة نعمة الله، والاعتراف بجمال أعماله لمجد اسمه القدّوس. وهذا هو أنسبُ جواب لكشف الربّ عن ذاته لنا ولاختبار طيبته. فعندما نتعلّم الصلاة، تعلّمنا المزاميرُ أنّ حضورَ الله، حتّى في الخراب وفي الألم، يبقى مصدرًا للاندهاش والتعزية. إذ يمكنُنا البكاء، التضرّع، التوسّل ولكننا مدركون بأننا نسيرُ نحو النور، حيث الحمدُ يصلُ أوجّهُ. كما يعلّمنا المزمور ٣٦: "لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نورا.(10) "

ما عدا هذا العنوان العامّ للسفر، وضعَ التقليدُ اليهودي لكثيرٍ من المزامير بعضَ العنواين الخاصّة، وعزا معظمَها إلى الملك داود. فشخصية داود معروفة وعميقة إنسانيًا ولاهوتيًا، كما أنّها شاملة إذ اجتازت مجموعةً واسعة من خبرات الحياة الأساسية: شاب راعٍ لغنم أبيه حتّى أصبحَ صعودًا مع الأحداث المأسوية بعض الأحيان، ملكًا على اسرائيل وراعيًا لشعب الله؛ رجلُ سلامٍ قاتلَ في كثيرٍ من الحروب، باحثٌ دؤوب وعنيد عن الله، خان الحبّ وهذا طبعُهُ، إذ بقيَ دومًا يبحثُ عن الله وإن ارتكبَ في العديد من الأحيان آثامًا كبيرة؛ تائبٌ متواضع تقبّل

غفرانَ الله وعقابه أيضًا، وقبِلَ المصيرَ الموسوم بالألم. هكذا كان داودُ ملكًا، مع كلّ ضعفه، "حسب قلب الله" (راجع ١ صموئيل ١٣، ١٤)، أي مصلّيًا متحمّسًا، رجلاً كان يعرف ما يعنيه الدعاءَ والحمد. ربطُ المزامير بملكِ اسرائيل اللامع هذا أمرٌ مهم، لأنّه شخصية مسيحانية، ممسوح الربّ، تنبّأ عن سرّ المسيح.

وتكتسبُ الطريقة التي تتكررُ فيها كلماتُ المزامير في العهد الجديد ذاتَ الأهميّة، حيثُ يتبنّى ويركّزُ على القيمة النبويّة التي يقدّمها ربطُ سفرِ المزامير بشخصية داود المسيحانية. في الربّ يسوع، الذي صلّى المزامير في حياته الأرضيّة، تجدُ المزامير كمالها النهائي وتكشفُ معناها الأكمل والأعمق. صلواتُ المزمّر التي يتكلّمُ بها مع الله، تكلّمنا عنه وعن الابن، صورة الله غير المنظور (كولوسي ١، ١٥)، وتكشفُ لنا كمال وجه الآب. فالمسيحي عندما يصلّي المزامير، فإنّه يصلّي إلى الآب في المسيح ومع المسيح، متبنيًا هذه الأناشيد في منظورٍ جديد يجدُ في السرّ الفصحي مفتاحَ تفسيره النهائي. فأفقُ المصلّي تنفتحُ على حقيقةٍ غير متوقعة، وكلّ مزمور يكتسبُ نورًا جديدًا في المسيح لتشعّ المزاميرُ في غناها اللامحدود.

أيّها الأخوة والأخوات الأعزّاء، فلنأخذ بين أيدينا هذا السفر المقدّس، ولنتعلّم من الله التوجّه إليه، ولنجعل من سفر المزامير مرشدًا يساعدنا ويرافقنا يوميًا في مسيرة الصلاة. ولنطلب نحنُ أيضًا كرسل يسوع: "يا ربّ، علّمنا أن نصلّي" (لوقا ١١، ١)، فاتحين قلوبنا لاستقبال صلاة المعلّم التي تبلغُ فيها جميعُ الصلوات إلى كمالها. وهكذا كأبناءٍ في الابن نستطيعُ التحدّث مع الله وأن ندعوه "أبانا". شكرًا

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ٣ أغسطس ٢٠١١

ترجمة المكتب الإعلامي الكاثوليكي بمصر من موقع vatican.va

قراءة الكتاب المقدس، غذاء الروح

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء!

أنا سعيد جدًا برؤيتكم هنا في ساحة كاستيل غاندولفو واستئناف المقابلات بعد فترة استراحة شهر يوليو. أود أن أواصل الموضوع الذي بدأنا فيه، وهو "مدرسة الصلاة". واليوم، بطريقة مختلفة قليلًا ودون أن نبتعد عن هذا الموضوع، أود أيضًا أن أشير إلى بعض الجوانب الروحية والعملية التي تبدو مفيدة برأيي، ليس بالنسبة لأولئك الذين - في جزء من العالم - يقضون عطلة الصيف مثلنا فقط، ولكن أيضًا لجميع الذين ينخرطون في العمل يوميًا.

عندما نستريح من أنشطتنا، خاصة خلال العطل، غالبًا ما نأخذ كتابًا نرغب في قراءته. هذا هو بالتحديد ما أرغب أولاً في التفكير فيه اليوم. كل واحد منا يحتاج إلى وقت ومكان للتفكير والتأمل والهدوء... لنشكر الله على هذا! في الواقع، تخبرنا هذه الحاجة بأننا لم نُخلق للعمل فقط، بل أيضًا للتفكير، والتأمل، أو حتى ببساطة لمتابعة قصة بعقولنا وقلوبنا، قصة ننغمر فيها، بمعنى ما "أن ننسى أنفسنا" لنجد أنفسنا بعد ذلك مغتنيين.

بالطبع، كثير من هذه الكتب التي نقرأها خلال عطلتنا، في الغالب كتب للهروب، وهذا أمر طبيعي. ومع ذلك، يكرس العديد من الأشخاص، خاصة إذا كان لديهم وقت أطول للاستراحة والاسترخاء، أنفسهم لقراءة شيء أكثر تحديدًا. أود بالتالي أن أقدم اقتراحًا: لماذا لا نكتشف بعض أسفار الكتاب المقدس، التي عادةً لا يعرفها الناس؟ أو التي قد نكون سمعنا منها بعض المقاطع خلال القداس، ولكن لم نقرأها بالكامل؟

في الواقع، هناك العديد من المسيحيين لا يقرأون الكتاب المقدس أبدًا، ولديهم معرفة محدودة وسطحية به. الكتاب المقدس هو مجموعة من الأسفار "مكتبة صغيرة" ظهرت على مدى ألف عام. تظل بعض هذه "الأسفار الصغيرة" مجهولة تقريبًا لمعظم الناس، حتى بين المسيحيين الصالحين. إن بعضها قصير جدًا، مثل سفر طوبيا، يتحدث عن معنى سامي جدًا للأسرة والزواج؛ أو سفر استير، يتحدث عن الملكة اليهودية تنقذ شعبها من الإبادة بالإيمان والصلاة؛ أو أسفار أقصر بكثير، مثل سفر راعوث، وهي غريبة تعرف الله وتختبر عنايته الإلهية. يمكن قراءة هذه الأسفار الصغيرة بأكملها في ساعة. وهناك أسفار أخرى تتطلب وقتًا أطول وتُحسب أعمال رائعة مثل: سفر أيوب، الذي يتناول مشكلة الألم البريء الكبيرة؛ وسفر الجامعة الذي يلفت الانتباه بسبب الحداثة المُحيرة المُشككة في معنى الحياة والعالم؛ وسفر نشيد الأناشيد، وهو قصيدة رمزية رائعة للحب الإنساني. كما ترون، كل هذه الأسفار من العهد القديم. وماذا عن العهد الجديد؟ بالطبع، العهد الجديد معروف أكثر، وأنواعه الأدبية أقل تنوعًا. ومع ذلك، يجب اكتشاف جمال قراءة الإنجيل دفعة واحدة بلا توقف، تمامًا كما أحثكم أيضًا على قراءة أعمال الرسل، أو إحدى الرسائل.

وفي النهاية، أيها الأصدقاء الأعزاء، أود أن أقترح عليكم أن نُبقي الكتاب المقدس في متناول يدنا خلال فصل الصيف أو في أوقات الراحة لنستمتع به بشكل جيد، عبر قراءة بعض من أسفاره، سواء تلك التي تُحسب أقل شهرة أو حتى الأكثر شهرة مثل الأناجيل، ولكن دون أن تتوقفوا. وهكذا، يمكن أن تصبح أوقات الراحة، إلى

جانب الغنى الثقافي، غذاء للروح أيضًا، قادر على تعزيز معرفتنا بالله والحوار معه، والصلاة. ويبدو أن هذا الأمر وسيلة رائعة لقضاء أوقات العطلة: قراءة سفر من الكتاب المقدس للتمتع بقليل من الاسترخاء وفي الوقت نفسه، الدخول إلى العمق العظيم لكلمة الله وتعميق اتصالنا مع الأزلي، تمامًا كهدف للوقت الحر الذي يمنحنا إياه الرب.

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٠ أغسطس ٢٠١١

ترجمة المكتب الإعلامي الكاثوليكي بمصر من موقع vatican.va

"واحات" الروح

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء

في كل حقبة زمنية، كرس الرجال والنساء حياتهم إلى الله من خلال الصلاة - مثل الرهبان والراهبات – حيث قاموا بتأسيس جماعاتهم في أماكن جميلة خاصةً في المناطق الريفية، أو على التلال، أو في وديان الجبال، أو على ضفاف البحيرات أو البحر، أو حتى على جزر صغيرة. تجمع هذه المناطق بين عنصرين مهمين جدًا للحياة التأملية: جمال الخلق، الذي يشير إلى جمال الخالق، والصمت، الذي يضمنه الابتعاد عن المدن والطرق الرئيسية للتواصل. الصمت هو الحالة البيئية المُعززة للتأمل، والاستماع لله، والتفكير. بالفعل، حتى مجرد التمتع بالصمت، أو السماح لأنفسنا بأن نكون "ممتلئين" بالصمت، يُحسب استعدادًا للصلاة. شهد النبي العظيم إيليا على جبل حوريب - أي سيناء - عاصفة قوية، ثم زلزالًا، وأخيرًا نارًا، ولكنه لم يتعرف على صوت الله؛ بل تعرف عليه في نسيم لطيف (راجع ١ مل ١٩: ١١-١٣). الله يتكلم في الصمت، ولكن يجب أن نكون قادرين على سماعه. لهذا السبب، تُحسب الأديرة واحات حيث يتحدث الله إلى الإنسان؛ وفيها يوجد الحصن، مكان رمزي لأنه مغلق، ولكنه مفتوح نحو السماء.

غدًا، أيها الأصدقاء الأعزاء، سنحتفل بذكرى القديسة كيارا الأسيزيّة. لذلك، أود أن أتذكر إحدى "واحات" الروح التي تحمل أهمية خاصة للعائلة الفرنسيسكانية وللمسيحيين جميعهم: دير سان داميان، الموجود أسفل مدينة أسيزي، في وسط حقول الزيتون المُمتدة نحو سانتا ماريا ديليي أنجيلي. بجوار هذه الكنيسة الصغيرة، التي قام فرنسيس بترميمها بعد توبته، أنشأت كيارا ورفيقاتها جماعتهن، حيث عِشْنَ على الصلاة والأعمال المتواضعة. وعُرِفنَ بـ "الأخوات الفقيرات"، وكانت "طريقة حياتهن" نفس طريقة الرهبان الصغار: "الامتثال للإنجيل المقدس لسيدنا يسوع المسيح" (قواعد القديسة كيارا، الفصل الأول، ٢) محافظات على الاتحاد في المحبة المتبادلة (cfr ivi, X, 7)، مع الالتزام بشكل خاص بفقر يسوع وأمه الطاهرة وتواضعهم (cfr ivi, XII, 13).

الصمت وجمال المكان الذي تعيش فيه الجماعة الرهبانية - جمال متواضع وبسيط - يشبهان انعكاس التناغم الروحي الذي تسعى الجماعة نفسها لخلقه. العالم، خاصة في أوروبا، مليء بتلك الواحات الروحية، بعضها قديم جدًا، وبعضها حديث، والبعض الآخر مُرمّم بواسطة جماعات جديدة. من المنظور الروحي، تُحسب هذه الأماكن الروحية عمود فقري للعالم! وليس صدفة أن العديد من الأشخاص، خاصة خلال فترات الراحة، يزورون هذه الأماكن ويقضون فيها عدة أيام: الروح أيضًا، الشكر لله، لديها احتياجاتها!

لنتذكر، إذاً، القديسة كيارا. ولنتذكر أيضًا قديسين أخرى يذكروننا بأهمية توجيه نظرنا نحو "أمور السماء"، مثل القديسة إديث شتاين - القديسة تريزا بينيديكتا للصليب - الراهبة الكرملية، إحدى شفيعات أوربا، المُحتفل بها أمس. واليوم، ١٠ أغسطس، لا يمكننا نسيان القديس لورنزو، الشماس والشهيد، مع تهاني خاصة للرومان،

الذين يكرمونه دائمًا كأحد شفعاء مدينتهم. وفي النهاية، دعونا نوجه نظرنا إلى العذراء مريم، لتعلمنا كيف نحب الصمت والصلاة.

المقابلة العامة للبابا بندكتس مع المؤمنين ١٧ أغسطس ٢٠١١

ترجمة المكتب الإعلامي الكاثوليكي بمصر من موقع vatican.va

التأمل

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء،

مازلنا في نور عيد انتقال العذراء مريم إلى السماء بالنفس والجسد، وكما قلت إنه عيد الرجاء. قد وصلت مريم إلى السماء وهذا هو مصيرنا: يمكننا جميعًا الوصول إلى السماء. السؤال هو: كيف وصلت مريم إلى هناك؟ إنها - كما يقول الإنجيل - "آمَنَت: فسَيَتِمُّ ما بَلَغها مِن عِندِ الرَّبّ" (لوقا ١: ٤٥). لذا آمنت مريم، وأوكلت نفسها إلى الله، وأودعت إرادتها لإرادة الرب، وهكذا كانت حقًا على الطريق المباشر، الطريق نحو السماء. النهج الأساسي هو: الإيمان، والتوكل على الله، والامتثال لإرادته.

اليوم لا أرغب في الحديث عن كل هذه المسيرة في الإيمان، ولكن أريد التحدث عن جانب صغير من حياة الصلاة فقط، أي حياة الاتصال مع الله، التأمل. وماذا يعني التأمل؟ إنه يعني "تذكر" ما فعله الله وعدم نسيان جميع إحساناته (راجع مز ١٠٣ :٢ب). غالبًا ما نرى الأمور السلبية فقط؛ ولكن يجب علينا أيضًا أن نتذكر الأمور الإيجابية، الهبات التي منحنا إياها الله. يجب أن نكون حذرين تجاه العلامات الإيجابية القادمة من الله ونتذكرها. لذلك نتحدث عن نوع من الصلاة يُطلق عليه في التقاليد المسيحية "الصلاة العقلية". نعرف عادة الصلاة بالكلمات، وبالطبع، يجب أن يكون العقل والقلب أيضًا حاضرين في هذه الصلاة، ولكننا نتحدث اليوم عن تأمل ليس مبنيًا على الكلمات، بل إنه وسيلة لإقامة اتصال بين عقلنا وقلب الله. ومريم هنا مثال حقيقي جدًا. يكرر لوقا الإنجيلي عدة مرات قائلًا: "كانَت مَريمُ تَحفَظُ جَميعَ هٰذهِ الأُمور، وتَتَأَمَّلُها في قَلبِها" (لوقا ٢ :١٩؛ راجع أيضًا ٢: ٥١ب). كانت تحفظ لا تنسى، إنها تنتبه إلى كل ما قاله الرب لها وفعله لصالحها، وتأملت، أي تفكر في مختلف الأمور، وتقدّرها في قلبها.

هي التي "آمنت" ببشارة الملاك وأصبحت وسيلة لتجسد كلمة الله الأزلية من العلي، كما استقبلت في قلبها هذه المعجزة العجيبة لذلك الميلاد الإلهي البشري. تأملت فيها وتوقفت لتفكر في ما كان الله يعمله في داخلها، لكي تستقبل إرادة الله في حياتها وتستجيب لها. سر تجسد ابن الله وأمومة مريم عظيم لدرجة تتطلب عملية استيعاب؛ إنه ليس مجرد شيء جسدي عمله الله داخلها، بل شيء يتطلب استيعاب من جانب مريم الساعية لتعميق فهمها له، وتفسير معناه، وفهم جوانبه وتأثيراته. وهكذا، يومًا بعد يوم، في صمت الحياة اليومية، استمرت مريم في حفظ الأحداث المدهشة التي شهدتها في قلبها، حتى التجربة العظمى للصليب ومجد القيامة. عاشت مريم حياتها بكاملها، وأدّت واجباتها اليومية، ورسالتها كأم، ولكنها استطاعت الحفاظ على مساحة داخلية للتأمل في كلمة الله وإرادته، وفيما يحدث في داخلها، وفي أسرار حياة ابنها.

في زمننا الحالي نحن مأخوذون بكثير من الأنشطة، الالتزامات، الهموم والمشاكل؛ غالبًا ما نميل إلى ملء أوقات الفراغ في أيامنا دون أن نخصص لحظة للتأمل وتغذية حياتنا الروحية، للتواصل مع الله. تعلمنا مريم مدى أهمية قضاء لحظات في يومنا، وسط كل نشاطاتنا، لنتأمل في صمت ونفكر فيما يريد الرب أن يعلمنا، وكيف هو حاضر وفاعل في العالم وفي حياتنا: أن نكون قادرين على التوقف لحظة والتأمل. يقارن القديس

أغسطينوس التأمل بأسرار الله بتناول الطعام ويستخدم فعلًا يتكرر في كل التقليد المسيحي: "يجترّ". وهذا يعني أن أسرار الله يجب أن يتردد صداها دائمًا في داخلنا بحيث تصبح مألوفة بالنسبة لنا، وتوجه حياتنا، وتغذينا مثل الطعام اللازم لاشباعنا. ويقول القديس بونافنتورا، مشيرًا إلى كلمات الكتاب المقدس، إنه "يجب اجترارها دائمًا لكي يمكن تثبيتها بممارسة مُتَّقدة في النفس" (Coll. In Hex, ed. Quaracchi 1934, p. 218). التأمل يعني الدخول في حالة خلوة، هدوء داخلي، للتأمل وإدراك أسرار إيماننا وما يعمله الله فينا؛ وليس الأمور التي تذهب وتعود فقط.

يمكننا أن نقوم بهذا "الاجترار" بطرق متعددة، على سبيل المثال، نختار مقطع قصير من الكتاب المقدس، خاصة الأناجيل، أو أعمال الرسل، أو رسائل الرسل، أو صفحة من كاتب روحي يقرب إلينا واقع الله ويجعله أكثر حضورًا في حياتنا اليومية، وربما يمكننا أخذ نصائح الكاهن المعرّف أو المرشد الروحي. نقوم بقراءة النص والتأمل فيه، ساعين إلى فهمه وإلى فهم ما يقوله لنا، ماذا يقول لنا اليوم، نفتح نفسنا لما يريد الرب أن يخبرنا به ويعلمنا. وصلاة الوردية المقدسة أيضًا صلاة تأمل: فبتكرار صلاة "السلام عليك يا مريم" نحن مدعوون لكي نفكر ونتأمل بالسر الذي نتلوه. يمكننا أيضًا أن نتأمل في خبرة روحية عميقة، في كلمات انطبعت في قلبنا بينما كنا نشارك بالافخارستيا يوم الأحد. إذا، كما ترون هناك طرق تأمل كثيرة للتواصل مع الله، والاقتراب منه، وبهذه الطريقة نكون في طريقنا نحو السماء.

أيها الأصداقاء الأعزاء، الاستمرار في إعطاء وقت لله بانتظام عنصر أساسي للنمو الروحي؛ سيكون الرب نفسه من يمنحنا متعة اسراره، وكلماته، ووجوده وعمله، نشعر بمدى جماله عندما يتحدث الله معنا؛ سيجعلنا نفهم بشكل أعمق ما يريده منا. في النهاية، هذا هو الهدف الحقيقي للتأمل: أن نثق دائمًا في يدي الله، بثقة ومحبة، متيقنين أننا سنكون سعداء حقًا عندما نفعل مشيئته فقط.